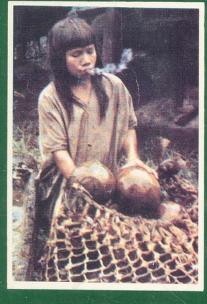
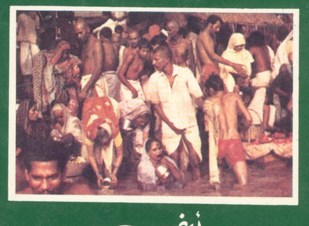
حول العالم



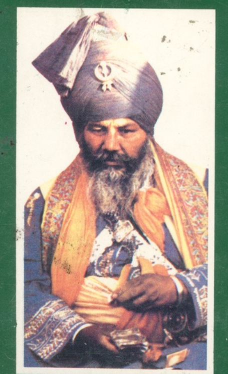
الجزء الأول

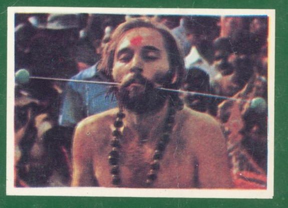


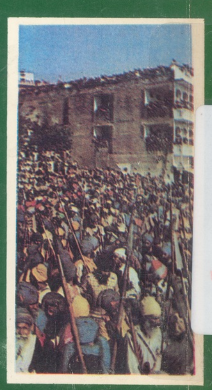




أغرب
القبائل والشعوب
بالقرن العشرين







رياض مصطفى العبدالله

أغرب القبائل والشعوب بالقرن العشرين

الجزء الأول

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

صدق الله العظيم

الإهـداء

الى القارىء العربي الكريم :

اقدم هذه السلسلة الفريدة من نوعهـا .. وكلي أمل أن تنـال إعجابـك ...

فان هـذه السلسلة هي عبـارة عن حياة الانسان بحـد ذاته .. وما يتضمنه هذا الكتاب هو أغرب القبائل والشعوب لا زالت تعيش بالقرن العشرين ولكن تملك الافكار القديمـة التي اصبحوا فريسة لهـا دون منـازع .... وجيـل القرن العشرين يتميز عـن سواه مـن الاجيـال السابقة ... وذلك بتسميته ... جيل عصر الذرة وعصر الفضاء وعصر الهياكل الآلية ... ولكن للأسف البالغ ... كل ذلك لم يعد لـه قيمة إذ لم نتمكن من أن نغير في بادىء الأمر تلك الخرافـات والأوهـام التي ما زالت تسود بعضاً من الشعوب والقبائل في هذا العالم .... وعلى هذا الأساس اقدم لك هذا الكتاب الذي ستطل من خلال نافذته على هذا العالم الواسع بما يحوي ويضم من قبائل وشعوب تدعو للدهشة والاستغراب ..

مقـــدّمة

لا شك ولا جدال في ان عقل الانسان كان وراء الصروح الحضارية التي قامت ونمت من خلال التاريخ البشري على كوكب الأرض ...

ومن البديهي ايضاً القول بان العقل مزية عظيمة .. فلقد جعـل الانسان مخلوقاً متوفقاً على سائر الكائنات .. كما ان هذه المزية قـد منحت الانسان حق سيادة الأرض والسيطرة على ما فيهـا من ثروات وخيرات .. فالعقل هو اعظم عطايا الخالق لمخلوقه الانسان .. فبالمعرفة غذى الانسان عقله .. وانطلق بعد ذلك يملأ هذه الأرض « علمـاً .. وفكراً .. وحضارة » ..

لكن العقول تتميز في مدى الاستيعاب من شخص الى آخر .. فان البعض من الناس يتوارثون العادات والتقاليد عن طريق البيئة والمجتمع اللذان قد عاشا ضمنهما ردحاً من الزمن ..

واساساً على ذلك يمكن القول .. بان البيئات والمجتمعات يلعبان دوراً هاماً وبارزاً في إشباع فضول تغذية العقل بالأفكار التي تحمل بين طياتها عادات وتقاليد متوارثة ..

والانسان يتلقف تلك الأفكار .. وعادة يصبح فريسة لهـا دون منازع .. وفي بعض الأحيان تصبح هاجسه الوحيد .. دون قيـد او

شرط .. وكل ما هو مطلوب منه هو المحافظة عليها والتمسك بهـا .. ورفض ما يخالفها وان كان ما كان ..

وعلى هذا الأساس فاني اقدم للقارىء العربي الكريم هذا الكتاب المسلسل .. والذي يحوي بين طياته عادات وتقاليد شعوب وقبائل تعيش في عصرنا الراهن .. وهذا من المنظار الظاهري .. لكننا إذا اردنا أن نراها بمنظار الباطن فاننا ندرك على الفور بأنها لا تمت بصلة على الاطلاق لعصرنا الراهن والذي قد شارف ان يدخل في القرن الواحد والعشرين .. ومع ذلك فان تلك الشعوب وتلك القبائل تملك عادات وتقاليد ليست تدعو للدهشة فقط ولكن فحسب انهـا تدعو للدهشة والاستغراب والتقزز والاشمئزاز ايضاً ..

وعلى كل حال فان الميدان العلمي في السابق كان في صراع دائم مع تقاليد وعادات تلك الشعوب .. وهو في محاولة عتيدة لتفنيد كل ما يسود افكار تلك الشعوب من خرافات وأوهام واعتقادات لا صلة لها بالواقع ..

ولكن .. ان حدة هذا الميدان العلمي قد بدأت في الآونة الأخيرة تخف شيئاً فشيئاً .. وبذلك يمكن القول .. بأن الميدان العلمي الحديث لم يعد يسمح للعلم كما يُدار الآن بأن يكون ذا فائدة مرجوة في إدارة أمور الانسان بحد ذاته .. وايضاً بتعليل وتفنيد ما يسود من تقاليد وعادات غريبة في نمطهـا واسلوبها التي سيطرت على تلك الشعوب والقبائـل وبلا منازع ..

فاذا كنت أيها القارىء العربي الكريم ممن تصبو نفسه التواقة الى معرفة الحقائق الكاملة عن تلك القبائل والشعوب التي عاشت قروناً طويلة

شبه مجهولة .. والتي تضم ايضاً تلك العادات والتقاليد التي اصبحوا فريسة لها دون قيد أو شرط .. فانك حتماً ستقبل على قراءة هـذا الكتاب بشغف .. لأنـك ستطل من نافذته على هـذا العالم الغريب والعجيب ..

والله الموفق والمستعان .. والحمد لله رب العالمين ..

رياض مصطفى العبد الله

* * *

الفصل الأول

ماليزيا ـ كوالالمبور

عيد تابوزام

سيفاناتراجا

الرب الهندوسي

فكرة عامة :

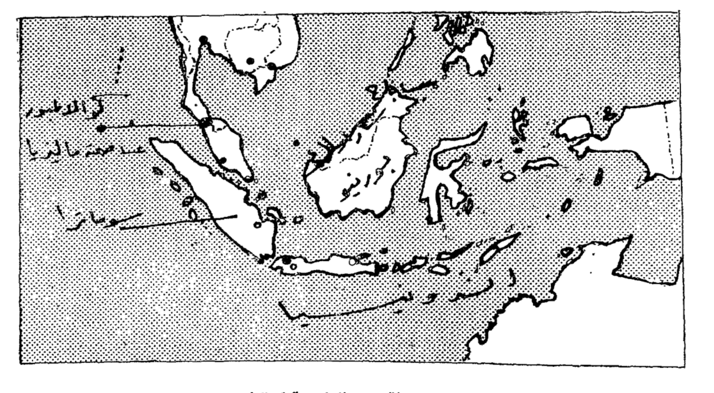
تقع « ماليزيا » في جنوبي شرقي آسيا •• وتبلغ مساحتها ٣٣٣٫٦٣٢ كلم² •• وعدد سكانها حوالي ١٣٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة •• وأما نظام الحكم فيها فهو ملكي •• وتدعى عاصمتها « كوالالمبور » والتي تتسع لحوالي ٤٥٥٫٠٠٠ نسمة •• واللغة الرسمية هي الماليزية ••

لقد نال « اتحاد ماليزيا » استقلاله عن بريطانيا عام ١٩٥٧ ويتألف من جنوبي شبه جزيرة ماليزيا « الغربية » باستثناء جزيرة « سنغافورة » التي انفصلت عن الاتحاد عام ١٩٦٥ •• ومن مقاطعتي « ساباح » و « ساراواك » شمالي جزيرة بورنيو « ماليزيا الشرقية » ••

وأما طابع هذا الاتحاد المميز •• فهو المناطق الجبلية المتوسطة الارتفاع في « ماليزيا الغربية » مثل « قمة تاهان » والتي يبلغ ارتفاعها ٢١٩٠ متراً •• بينما نجد المناطق الجبلية الشاهقة في « ماليزيا الشرقية » مثل « قمة كينا باولو » التي يبلغ ارتفاعها ٤١٠٠ متراً ••

وأما السهول في ماليزيا الغربية نجدها ضيقة •• بينما هي أكثر اتساعاً في ماليزيا الشرقية ••

وبذلك •• فان هذه الفكرة واضحة وجلية عن ماليزيا •• ولندخل الآن في صلب الموضوع ••



خريطة تبين العاصمة كوالالمبور

العيد السنوي :

في « كوالالمبور » عاصمة ماليزيا •• نجد من الهنود الماليزيين •• رجالاً •• ونساءً •• وأطفالاً •• وقوافل من السيارات الصغيرة •• وعربات النقل •• والاتوبيسات « الباصات » •• كلهم جميعاً بلا استثناء في اتجاه واحد •• يدقون الخطى بأقدام ثابتـــة على الطريق الرئيسية لعاصمة ماليزيا « كوالالمبور » وكل ذلك للاَحتفال بالعيد المجيد •• بالعيد الأكبر والمبارك الذي لا يماثله عيد عندهم •• إنه عيد « تابوزام المجيـــد » •••

وعلى مقربة من أبواب تلك العاصمة •• يبـــدأ الازدحام على أشده •• ويتعالى نفير السيارات •• ليغلب على كل الأصوات •• وكل منهم دون استثناء شاباً أم شائباً •• فتاة أم عجوز •• يحاولون جاهدين أن يتجاوزا من تقدمهم ••

وعند الوصول للمدخل الرئيسي للعاصمة •• تبدأ تلك الجموع الغفيرة التي لا عدّ لها ولا حصى •• تحتشد في موكب جليل ومهيب •• ويتقدم ذلك الحشد الهائل صاعداً السلالم الحجرية في تدافع وجلبة تصم الآذان ••

وفي نهاية تلك السلالم الحجرية يوجد صخرة كبيرة جـداً ٠٠ وبوسطها ثغرة متسعة أشبه بمغارة ٠٠ فهي مجوفة من الداخل ٠٠ إنه المعبد الذي يحتفل فيه بعيد « تابوزام المجيد » ٠٠ هناك تبـدأ تلك الحشود البشرية تستعد للقاء الموعود بينها وبين الرب العظيم والأكبر عند أصحاب الديانة الهندوسية ٠٠

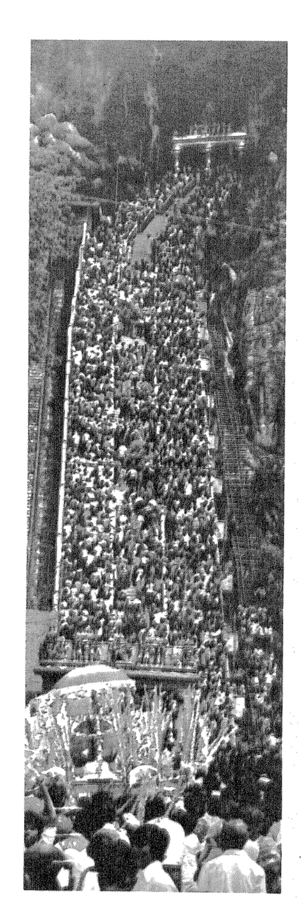
الإله ـ سيفا ناتراجا :

ان عيد تابوزام السنوي هو من أهم الأعياد الدينية الهندوسية المطهرة والمباركة ٠٠ والتي أشارت إليه الدراسات المكتوبة في القرن السادس الميلادي ٠٠

وهذا العيـد المجيد يحتفل به هنود ماليزيـا سنوياً في شهر « الكوكب » حين يتوسط البدر كبد السماء ٠٠ وذلك تمجيداً لذكرى الإله « سيفا ناتراجا » رب آلهة الهندوس ٠٠ والذي تجلى ذات ليلة مقمرة ليؤدي الرقصـة الكونية في انسياب هادىء بمناسبة نشـوء الكون ٠٠

مورغان ـ الحفيد والحارس المسلح :

لقد حمل الهنود الماليزيين عادات وتقاليد وتعاليم مطهرة لذلك الاحتفال الديني على مرّ الزمن ٠٠ اعتقاداً بأنهم يتقربون بتلك التعاليم والتقاليد مـن الرب الأكبر « سيفا ناتراجا » الذي سيمنحهم السلام والبركة الدائمة على الدوام ٠٠



يتقدم الحشد الهائل صاعداً

السلالم الحجرية

في موكب جليل ومهيب

وعلى هذا الأساس يبدأ التمجيد أيضاً للإله « مورغان » وهو حفيد « سيفا ناتراجا » الذي أورثه مجده وملكوته •• وأوكل إليـه أيضاً مهمة احلال السلام في هذا العالم •• ومكافحة الشر والفساد بين الخلق •• ويحمل « مورغان » أسماء عديدة ترمز له على أساس إنـه حفيد الإله الأكبر « سيفا ناتراجا » ومن تلك الاسماء •• « الشباب الدائم » و « السعادة المستمرة » و « الحارس المسلح » ••

ولقد أقيمت لـه المعابد الرسمية على التلال •• وفي المرتفعات الشاهقة •• اعتقاداً من المؤمنين الهندوسيين بأن « مورغان » كان قد اختار جبل « كورنجي » وهو جبـل مطهر ومقدس لـدى الشعب الهندوسي •• كما ان « مورغان » قد اتخذ ذلك الجبل مقراً له على الدوام •• واتخذ أيضاً « الرمح » و « الطاووس » شعاراً ورمزاً خاصاً بـه •• « فالرمح » هو سلاحه الوحيـد لمكافحة الشر والفساد ••• « والطاووس » هو الفرس السريع الذي يحمله على ظهره ليجول بـه عبر هـذا الكون اللانهائي •• وأيضاً يمكنه زيارة أولئك المتدينيين المؤمنين كي يمنحهم الرضوان •• ويبارك لهم في صلاتهم وايمانهم بالإله الأكبر •• « سيفا ناتراجا » الذي قد نشر تعاليمه الخاصة بالسلام والمحبة والإخاء •• والتفاني في سبيل إرضائه ••

قرابين للآلهة :

ان عيد تابوزام يشتمل أيضاً على تقدمة القرابين السنوية •• وهي مقتصرة على تقديم •• العسل والحليب والبرتقال ••

ولما كانت تلك الطرق الموصلة للمعبد حيث تقام الطقوس الدينية • طرقاً وعرة وعسيرة •• إذ بُنيت تلك المعابد في القمم الصخرية المتقاطعة على الجبال الشاهقة •• بحيث ان اجتيازها يشكل عبئاً وجهداً شاقاً للمؤمن الهندوسي المُحمل بالقرابين التي يصل وزنها في بعض الأحيان ستون كيلو غرام•• لذلك فقد ابتكر المؤمنين بالإله الأكبر«سيفا ناتراجا» نوعاً في السلال وهي بشكل دائروي تسمى « الكادافيس » ومزينة برسوم تمثل الطاووس ممسكاً بالرمح •• وذلك دلالة على تمسكهم بالعقائد الدينية المقدسة •• وتعبيراً عن خضوعهم لها •• ومع الزمن تطورت صناعة السلال فأصبحت كالقفة الصغيرة •• فتملأ بالعسل والحليب ولا يكشف عما في داخلها إلا أمام المذبح داخل المعبد ••

التعذيب الذاتي الإرادي :

ان الصلاة الهندوسية تقام قبل الاحتفال بالعيد المجيد ببضعة أيام •• وهذه الصلاة لها ميزتها الخاصة التي تعبر عن التفكير للذنوب والآثام والمعاصي والمخالفات التي ارتكبت في ساعات غضب وثورة نفسية •• لذلك يعبرون بصلاتهم على التوبة المخلصة على الدوام •• ويستغفرون الإله « سيفا ناتراجا » عله يمنحهم التوبة ••

لذلك فقـد كان المؤمنين يمتنعون عن ممارسة الحب ويكتفون بوجبة طعام واحدة نباتية في اليوم على مدى أربع وعشرون ساعة •• ويُحرمون على أنفسهم الحلاقة •• فترخى شعورهم ولحاهم •• وبعد ذلك تبدأ الاستعدادات في إعداد القرابين بعد الاغتسال في نهر«تيبرو»• ثم يدخلون في الصلاة والتأمل والعزلة •• التي تتحول تدريجياً الى غيبوبة عن هذا العالم ••

وتمتد صلاتهم حتى اليوم الذي تقدم فيه القرابين على باب المذبح داخل المعبد التابوزامي •• وبفضل تلك الصلاة والعزلة والتأمل التي تفصلهم عن الواقع لتدخلهم في عالم الخيال والغيبوبة الطويلة المقترنة بالتوحيد للذات الإلهية •• الى أن تصل افكارهم الى مستوى مطلوب ومحدد •• عندها تمتلكهم نشوة غريبة جـداً تدعى « نشوة الرعدة الانشائية » فتراهم حالمون بأبعاد لا حدود لها •• وبواسطتها يُتاح لهم دون استثناء اجتياز المسافات الطويلة ضمن الدروب الوعرة والتي تتطلب جهداً شاقاً ومهارة فائقة فيصلون بالنهاية الى المعبد التابوزامي ••

وهنا يُضاف عنصر أساسي ومهم عرفته الديانة التابوزامية المطهرة وهو •• ان ذلك التنسك والتقى والعزلة يلتحمان بنوع من المآثـر والبطولات التي تتلخص بالتعذيب الذاتي الإرادي •• وأيضاً بالتمثيل بالجسد واحتقاره وتنكيله ••

وهم في تلك الحالة يبدون في إحساس غامر بالورع والتقى ••
بينما الرماح الحادة تترنح على وجناتهم •• والأسهم الفضية مغروزة في ألسنتهم •• والكلاليب التي تنتزع قطعاً من اجسادهم •• والسلال التي تثقل كاهلهم •• وهم لا يأبهون لكافة الآلام والاصابات بل انهم من خلالها يستسلمون لنشوة غريبة وعجيبة •• والاغرب من كل هذا •• هو ان تلك الجروح العميقة لا يسيل منها الدم إلا من بضع قطرات تعد على الاصابع اليد الواحدة •• فسرعان ما تلتئم حتى قبل ان يغلف النسيان ذاكرتهم •• فلا يبقى منها سوى آثار ندوب سوداء اعتادت ان تثقب بالمغرز في كل عام وفي كل عيد تابوزامي •• وهم فريسة لذلك الشعور الغريب الذي يُعبر لهم عن امكانية الوصول بتلك المآثر والبطولات من خلالها الاتصال بالإله الأكبر « سيفا ناتراجا » والتقرب منه بهذه الوساطات الغريبة وذلك حسب إرادته وتعاليمه ومشيئته ••

الزعيم الديني ــ غورو :

ان معظم اللذين يشاركون في احتفال عيد « تابوزام السنوي » هم من الأوساط الدنيا •• وعندما يحتشد المتدينون •• يبدأ تشكيلهم الى مجموعات •• كل مجموعة تتألف من حوالي خمسين شخصاً •• يتولى رئاستها زعيم ديني يلقب باسم « غورو » وهو لا يختلف عن بقية المؤمنين الهندوسيين •• إلا بأنه ينفرد بجماعته ويدخلهم بـ « نشوة الرعدة الانتشائية » وهي وحدها التي تمكنه من استلام مثل هذا المركز الديني ••

فيتجمع أولئك المؤمنين حول زعيمهم الديني « غورو » وهم يتغنون بنشيد « الفل ـ فل » أي بمعنى « الرمح ـ رمح » وتتعالى أصواتهم بشدة يتخللها الحماس والاندفاع •• بينما يقف غورو أمام أحد المؤمنين مهيئاً نفسه ليثقب وجنة المؤمن بالمغرز بعد أن باركه بدعواته •• ومثبتاً نظراته الثاقبة في وجنتي المؤمن الذي يكون منتصباً أمامه كالتمثال دون حركة أو همسة ••

ولكن عندما يشق السهم الحاد والمسنون لحم وجنة المؤمن اللدنة •• يبدأ المؤمن بالارتعاد بشدة كمن أصابه مس أو جنون •• فيقفز بالهواء ليدق الأرض بقدميه دقاً رتيباً وشديداً •• ومن ثم يتمايل مترنحاً على وقع النشيد الحماسي •• بينما يكون قد برز من وجنتيه الغائرتين ذلك السهم الفضي فلا يسيل من وجنتيه من أثر الجرح إلا قليل من قطرات الدم لا تذكر •• ويصاب المؤمن الهندوسي في بعض الأحيان بجروح عميقة •• حيث تشق ألسنتهم بأسياخ فضية يتراوح طولها ما بين ١٢ سم و ١٨ سم •• غير ان هذه الأسياخ الفضية لا تعتبر أمراً عظيماً يؤخذ بالاعتبار •• إذ ما قورنت بالرماح الطويلة التي تخترق الوجنة ويبلغ طولها عادة أربعة أمتار •• وعلى طرفي الرمح تعلق السلال المملوءة حليباً وعسلاً •• وأما البرتقال فانه يثبت على الخصر بواسطة سنارات فضية تغرز في الجسد •• لكن بعض المؤمنين الجدد والتي لم تشق وجناتهم سابقاً فانهم احياناً يرتمون على الأرض فاقدين الوعي ••

عندها يتقدم منهم بعض الرجال بمنتهى البراءة والهدوء •• يحملانهم بعيداً لتبدأ محاولات انعاشهم بشتى الأساليب وهكذا دواليك ••

واكثر من ذلك فاننا نجد البعض من المؤمنين اللذتي قد اصبحوا ملكاً خاصا لـ « الرعدة الانتشائية » يتقدمون افواجاً ليقفوا بين يدي الزعيم الديني « غورو » •• فيتقدم أحدهم ليجلس على كرسي بــلا ظهر •• عندها يباشر الزعيم الديني « غورو » في غرز الكلاليب الفضية الحادة في جسده •• ويبلغ عدد الكلاليب في بعض الاحيان زهاء ستين كلاباً •• والمؤمن لا يزال تحت سيطرة الرعدة الانتشائية الغريبة الى أن يحني رأسه ليذهب في غيبوبة بلا حدود أو نهاية ••

وأما النساء فيتقدمن من الزعيم الديني « غورو » كل واحدة تمد لسانها منتظرة دورها •• بينما يبدأ غورو في غرز الاسهم الفضية الحادة في ألسنتهم دون أن يأبه لآلامهم •• فان الجميع ملك لتعاليم الرب « سيفا ناتراجا » •• أجساداً •• وافكاراً •• وأرواحاً •• دون قيد وبلا شرط مسبق ••

وعند ذلك يكون المؤمن الهندوسي قد أصبح على أهبة الاستعداد للاحتفال الديني •• حيث تمارس فيه شتى وأشــد أنواع التعذيب الذاتي المريع •• كما لو أن تلك المظاهرة البشرية الهائلة تبغي من خلال المآثر والبطولات إثارة الرب الهندوسي •• عله يمنحهم السلام ويبارك

لهم مآثرهم •• وهم على أمل أن يحظوا بسماع تلك الخشخشة التي تصدر عن الرب الأكبر وهم الموعودين بها •• فمعنى وجودها ان الرب منحهم بركاته وسلامه ••

وعند الانتهاء مـن زرع الكلاليب وغرز الأسياخ والرماح •• يتدافع المؤمنين كالسيل الجارف •• يحملون اثقالهم •• ويجدون في المسير ضمن الدروب الوعرة بخفة ونشاط تثير الدهشة •• إذ تراهم وكأنهم في سباق •• وقبل الدخول للمعبد الهندوسي •• يتهيأ المؤمنون لتناول الوجبة الجماعية التي يفتتح بهـا الاحتفال الديني •• ومن ثم تقـام الصلوات على الفور دون أن يركنوا للراحة ولو للحظات ••• ويستسلم الجميع دون استثناء الى حالة من التوتر والغليان النفسي •• ثم يغلفهم الصمت المطبق •• فلا تسمع سوى صرير الأسنان الذي ينبعث بسبب الآلام من أثر الجروح ••

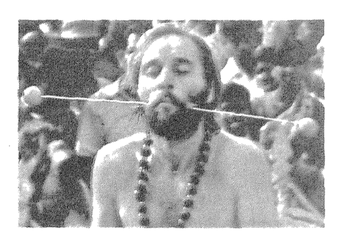
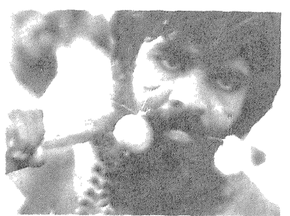
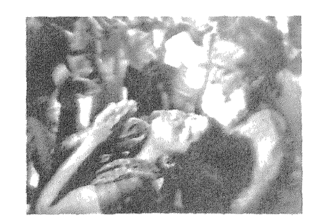
وفي النهايـة يتوجهون الى داخل مذبح القرابين •• فيقدمون ما يحملون من العسل والحليب والبرتقال •• ويتممون الصلاة الأخيرة على أكمل وجـه •• فيما يُسارع الزعيم الديني « غورو » الى نزع القضبان والرماح والكلاليب من ألسن ووجنات وأجساد المؤمنين •• ولا يسيل من الدماء سوى قطرات لا تُذكر •• ثـم يضع على الفور مكان الجرح رماداً يسمى « الرمـاد المقدس » وبعـد ذلك ينتهي كل شيء ••

عيد يغلفه الغموض •• ويلف به الابهام •• والى العيد القادم •• فان الرب سيفا ناتراجا يستقبلكم في كل عام وفي كل عيد كي يمنحكم البركات ••





في حالة الاغتسال في نهر التيبرو



مآثر وبطولات تتلخص بالتعذيب الذاتي

الفصل الثاني

اثيوبيا ـ أديس أبابا

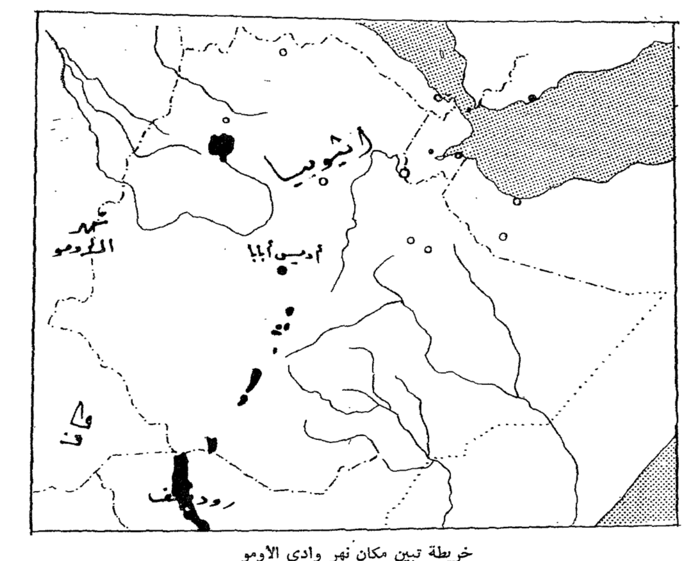
قبائل
وادي نهر الأومو

فكرة عامـة :

تعتبر اثيوبيا الدولــة الافريقية الوحيدة التي تمتعت باستقلال دائم •• إلا من فترة قصيرة امتدت ما بين عام ١٩٣٥ حتى عام ١٩٤١ كانت فيها تحت الاحتلال الايطالي ••

والجدير بالذكر ان اثيوبيا كانت امبراطورية عريقة في القدم •• فان جذورها تمتد الى ما قبل الميلاد •• غير ان ثورة مسلحة ما لبثت أن أطاحت بالنظام عام ١٩٧١ واعلنت في السنة التالية قيــام الجمهورية الاثيوبية ••

تبلغ مساحة اثيوبيا ٩٠٠ر١٢١ر١ كلم٢ •• وعدد سكانها حوالي ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٩ نسمة •• ونظام الحكم فيهــا جمهوري •• وتدعى عاصمتها « أديس أبابا » •• واللغة المتعارف عليها في اثيوبيا •• هي اللغة « الامهارية » يضاف إليها اللغة الانكليزية والعربية ••



خريطة تبين مكان نهر وادي الأومو

نهـر الأومـو :

ان نهر « الأومو » ينحصر بين سلسلتين جبليتين •• وينتشر على ضفافه أكواخ بدائية صغيرة •• يسكنها شعب الأومو •• الذي يغلفهم الغموض بعاداتهم وتقاليدهم الغريبة والمدهشة ••

ويمتد ذلك النهر الاثيوبي مسافة ٩٠٠ كيلو متر •• حتى قرية « دوس » الواقعة مقابل الحقول الرائعة في الجمال الخلاب •• ويصب في النهاية في بحيرة « توركانا » على حدود « السودان وكينيا » ••

وبقدر ما اشتهر هذا الموقع عالمياً •• بقدر ما بقي شعب الأومو •• شعبـاً مجهولاً •• الى أن تفشت بـين عامي ١٨٨٠ و ١٩١٠ حمى اكتشافات المجاهل الافريقية ••

ولكن مياه نهر « الأومو » بقيت عذراء •• إذ لم يجسر أي من الرواد الأوائل أن يجتـاز ذلك النهر المرعب والمخيف •• والمحفوف بالأخطـار والمهالك •• الى أن عزم بعضاً مـن المغامرين « الألمـان والأمريكيين » منذ سنوات على القيام بمجازفة خطيرة من نوعها •• تدفعهم الرغبة الشديدة والتي تفوق كل المخاوف المريعة للنفس البشرية•

وبما ان اثيوبيا هي اكثر مناطق افريقيا الاستوائية جبلية •• فان مناخها شديد البرودة •• فينساب من خلال تلك الجبال « نهر الأومو »

الذي يتدفق من علو ٣٠٠٠ متـــر •• حتى يمكنك أن تتخيله وكأن مياهه تنزلق بشكل عمودي •• وهو كثير الصخور •• واحياناً يصحب مياهه عواصف شديدة تقتلع كل ما يعترض طريقها لتقلبه رأساً على عقب ••

فان أراد أحداً أن يبحر في نهر «الأومو» فذلك يعني بانه سيجازف بحياته في سبيل تحقيق مرامه •• إذ سيتراءى له الموت في كل لحظة •• وبالأخص من تلك الحيوانات المفترسة •• أمثـــال التماسيح الضخمة وأفراس النهر الخائرة •• وتلك الافاعي الضخمة التي يتراوح طولها في بعض الاحيان ثلاثة أمتار •• وان ضربة من ذيلها كافيـــة بتحطيم زورق بخاري ••

فنهر « الأومو » لا يرحم أحداً على الاطلاق •• فهو يتفجر بين الحواجز الصخرية المتكاثفة •• والتلال العشبية المتكاثرة بشكل يثير الدهشة والاستغراب ••

ويعتبر الوادي الفسيح الذي يعيش فيه شعب « الأومو » ذخراً طبيعياً •• ومغروزاً للقبائل الأصلية •• فعلى يمين الوادي تنحدر قرى « الكافا » بينما ينبسط على شماله ريف « الغوما » بين احراج غاباته الكثيفة •• والتي سيجت ضفافه الوعرة جماعات من القرود العادية •• وقرود « الذيّال » وهي نوع من القرود ذو أذناب طويلة •• بينما تتكاثر

على حواف النهر التماسيح والغرانيق بأعداد كبيرة •• وهم يعيشون آمنيين •• حيث يندر أن يأتي الصيادين المحترفين للصيد مثـل تلك الأنواع من الحيوانات الخطيرة المتربصة •• تنتهز الفرصـة المناسبة لتطبق على طفل يلهو •• أو إمرأة ترتشف الماء لتروي ظمأها •• أو رجل يملأ دلوه ليعود به الى عائلته ••

وأما تلك الحشرة السامة فهي وحدها الأصغر والأخطر والأكثر انتشاراً في تلك المنطقة •• إنها ذبابة سامة تدعى « التسي التسي » ذات جوانح رقيقة متقاطعة كحدي المقص •• وتنسلل هذه الحشرة من خلال الأغطية لتزور تلك البشرية •• وتعقص الواحد يليه الآخر •• وهي تنساب في حدود مثير كمن لديه واجب ديني مقدس يجب اتمامه •• وتفتك هذه الحشرة السامة سنوياً بالمئات من السكان •• وأساساً على ذلك فلقد زار تلك المنطقة بعضاً من الأطباء •• دفعهم العامل الانساني •• فافتتحوا عيادات لمعالجـة أهالي « الأومو » إلا انهم ما لبثوا فارين وكأنهم يهربون من الجحيم ••

اكتشافات :

داخل تلك الغابات الخضراء يتراءى لك مساكن شعوب « الأومو » وهي عبارة عن مساكن بسيطة بالشكل الخارجي والداخلي ••

وشعب الأومو نوعان :

النوع الأول : هـم العاديون اللذين يضعون إزاراً بسيطـاً على أوساطهم ..

النوع الثاني : وهم الطبيعيون الذين يعيشون حفاة عراة لا شيء يسترهـم على الاطلاق .. رجالهـم ونساءهم واطفالهم دون استثناء ..

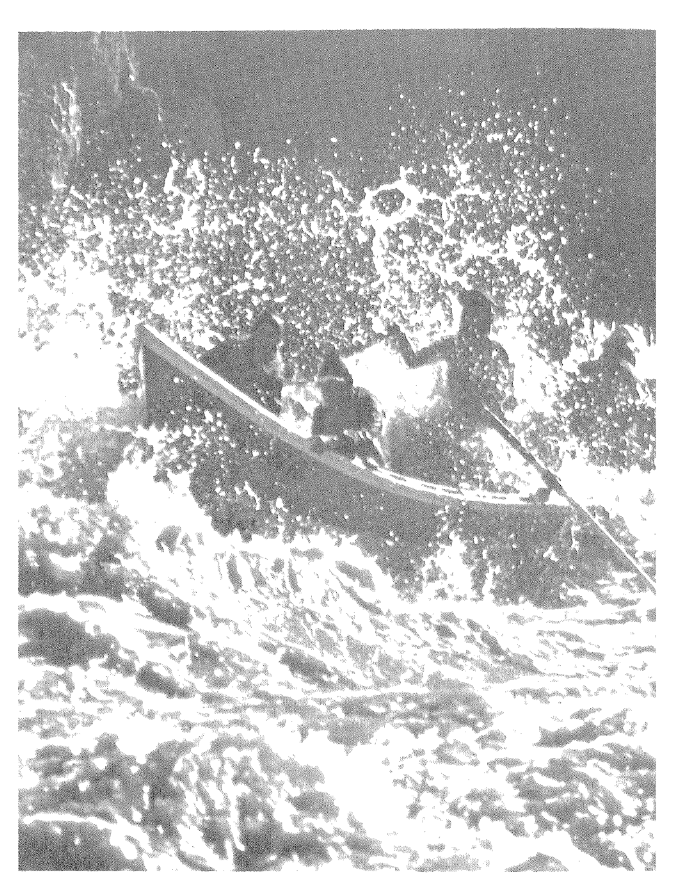
ومنخفض وادي نهر الأومو .. هو بقعة مجهولة استوطنها شعب « الباتشا ــ BATCHA » .. وهم اعراق عاشوا كالبدو على تربيـة الماشية .. وزراعة الأرض .. وصيد الحيوانات بأنواعها المتعددة ..

وقد تم اكتشاف تلك المنطقة عام ١٨٨٨ برئاسة الكشاف الايطالي « فيتوريو بوتيغو » وروى الكثير عن تلك الشعوب الاثيوبيـة التي عاشت على ضفاف نهر الأومو الذي ينساب كثعبان أصغر .. أو كسيل طيني جارف .. لا يدرك معنى للرحمة ..

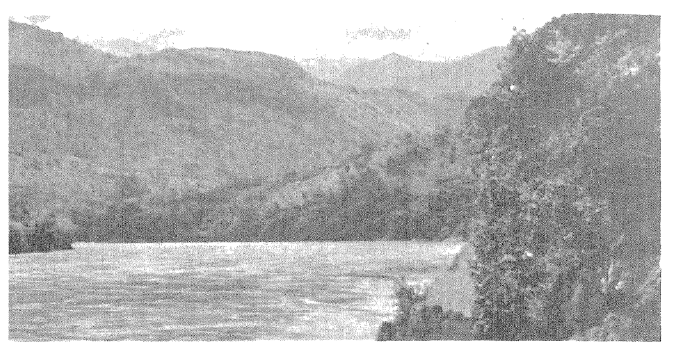
واكتشف الألماني « لوديغ فون هونل » الذي انطلق من الحدود الجنوبية ليخيم على ضفة نهر الأومو الشرقية في بحيرة « رودولف » الشهيرة في كينيا ..

وبعـد وقت قصير اكتشف الأمريكي « دونالدسون سميث » الضواحي الشرقية لنهر الأومو « بحيرة أباية » ..

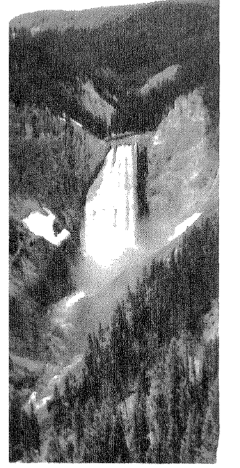
وأول قوات اثيوبية دخلت مسلحة لتلك المنطقة بنـاء على طلب الامبراطور « فيسيليك الثاني » كان في عام ١٨٩٨ .. ولقد سلكت



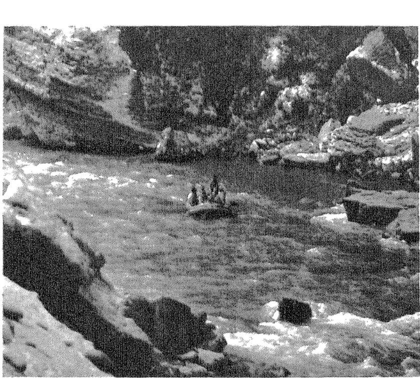
نهر الاومو في حالة الغضب



نهر منساب بشكل طبيعي ذو منظر خلاب



نهر يتدفق بشكل شلال



نهر منساب متعرج تتخلله الصخور

تلك القوات الناحية الشمالية الشرقية •• وبعـد ذلك بدأت تتوالى المحاولات لدخول المنطقة •• وبرغم المعارك الضارية والعنيفة والحامية التي خاضتها قبائل الوادي ضـد تلك القوات •• إلا أن الفيكونت « دو بورغ دو بوزاس » الفرنسي الأصل •• تمكن بعد محاولات عديدة خاضها بعزيمة صلبة من اجتياح الوادي •• حيث تم اكتشاف آثـار الانسان الذي يعود تاريخه الى ثلاثة ملايين سنة قد مضت ••

وقد كتب الكونت « ليوتتيف » الذي قاد الحملة الأولى لاجتياح الوادي •• يقول عن تلك الأعراق البشرية •• « انهـم رجال مديدو القامة •• إذ يبلغ طول الواحد منهم حوالي المترين •• وهم يتنقلون حفاة عراة •• وتلتف حول أذرعهم أساور عاجية •• أو نحاسية •• وأما نساءهم فيتزين بقلائـد حديدية حول أعناقهم •• ويسترن عوارتهن برقع جلدية صغيرة ممسكة بخيط رفيع يعقد حول الخصر •• والرقعة الجلدية مزينة بحبات من اللؤلؤ على مدارها •• وأيضاً هم يوقدون النار على طريقة احتكاك الاحجار •• كما انهـم يصطادون التماسيح الضخمة والمفترسة بواسطة حراب ذات أطراف سامة وحادة ••• » ••

وأما الفيكونت « دو بورغ دو بوزاس » فقـد روى عن تلك الشعوب بقوله : « ان تلك القبائل تتشابه من حيث النمط المعيشي •• فهم يحترفون رعاية الماشية وزراعة الأرض •• ولربما كانت طبيعة التربة

وعدم انتظام نسبة الأمطار هما الدافع الأساسي لتصنيف ذلك الشعب بين فئتين •• الفئة الأولى هي « الرعاة ــ البدو » والفئة الثانية « البدو ــ الفلاحين » ••

وأما النظام التجاري الوحيد الذي يعرفـه سكان الوادي على اختلاف قبائلهم •• فهو « المقايضة » •• وعلى أساسها يتبادلون ما تغله الأراضي من منتوجات زراعية •• كالذرة البيضاء والتبغ وما شابـه ذلك •• الخ •• وأيضاً ما يصنعونه من أواني فخارية •• والذي أبدع في صنعها بمهارة رائعة •• قبائل « الكار » وقبائل « المورسي » وكل ذلك مقابل البنادق القديمة •• ورؤوس الماشية ••

وسكان هذا الوادي لم يتغير تصرفهم على الاطلاق نحو البيض •• فمنذ أن عرفوهم وهم يتحذرون من وجودهم •• ويتجنبون الاقتراب من الزوار أو الاحتكاك بهم إلا في النـــادر •• ومع ذلك فان ما يشغل تفكيرهم على الأكثر •• هو ذلك اللباس الغريب الذي يرتديه كل من يزورهم من البيض •• فهو بالنسبة إليهم شيء غريب وعجيب ولا يفقهون معنى لوجوده على الجسد •• إذ انهم هــم العراة على الدوام ودون استثنـــاء رجل أم إمرأة أم طفل •• ولا يعرفون إلا تلك الرقع الجلدية المزينة بحبات اللؤلؤ فقط لا غير •• وهو تقليد مفروض على النســـاء عامة •• فعندما تبلغ الانثى السنة الأولى من عمرها •• عليها أن تستر عورتها بتلك الرقعة الجلدية •• وأما الرجال فمنهم من يستر عورته بإزار

يلف حول خصره من تحت الصرة •• ومنهم من لا يضـع شيئاً على الاطلاق فهو الطبيعي في الحياة ••

التقاليد المتبعـة

عندما يقترب أحـد" مـن زوار وادي الأومو حيث تقطن تلك الشعوب •• تبـدأ على الفور لدى رؤية الزائـر •• صيحات النساء والاطفـال •• وهن يهتفن بكلمـة « فرنجي ـ فرنجي » أي بمعنى « أبيض ـ أبيض » •• لكن الدهشة والاستغراب سرعان ما تستملك الزائر •• إذ أن نساء وادي الأومو قد شوهت شفاههم بشكل يدعو للاشمئزاز والفضول في آن واحد •• وأسباب هذا التشويه الغريب هو تقليد مُتبع على مرّ الزمان •• إذ عندما تبلغ الفتيات سن البلوغ •• تقتضي التقاليد والاعراف بأن تدخل الفتاة في فمها بين أسنانها وشفتها السفلى صحناً خشبياً صغيراً وذلك لمط شفتها السفلى •• ولا تخرج الفتاة ذلك الصحن من فمها إلا في حالتي النوم والطعام •• وعندما يندمل ذلك التمزق الذي حدث بسبب الصحن تكون عندها الشفة السفلى قد تدلت للاسفل بشكل يدعو للنفور والاشمئزاز •• إذ يبلـغ في بعض الأحيان مط الشفة السفلى ٢٥ سم •• والبعض الآخر من الفتيات يتبع تقليداً آخر من التقاليد وهو عبارة عن شرم الشفة السفلى فوق الذقن وبين الشفة من الداخل الى الخارج •• وتعلق بها سلسلة ذهبيـة أو نحاسية •• وأما الشباب فانهم يشاركون أيضاً الفتيات في هذه العادات ولكن بشكل آخر •• إذ يشرمون الأذن بواسطة جراحة بدائية ومن ثم يعلقون فيها سلاسل منوعة في الاشكال ••

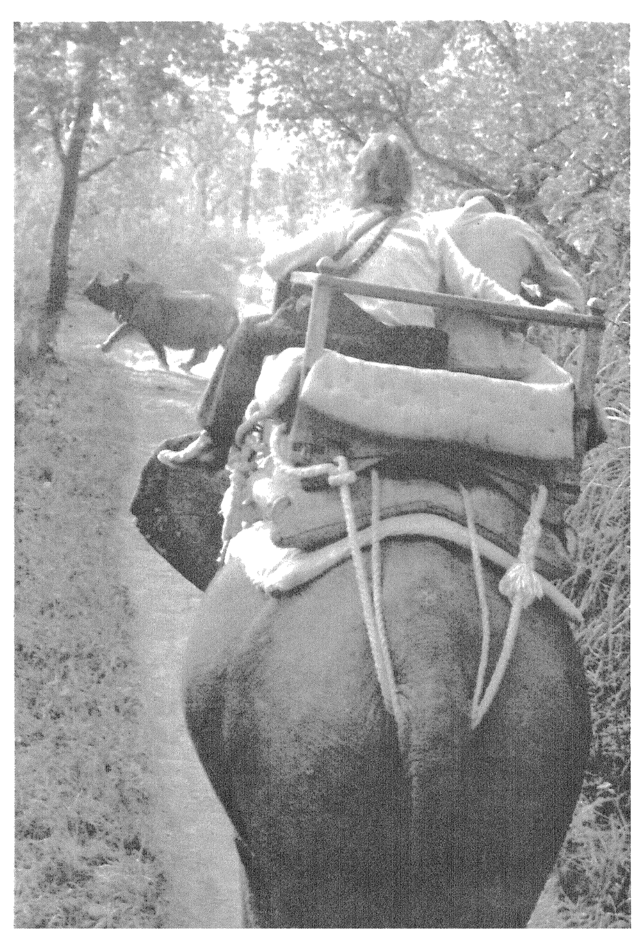
وبذلك نرى الكثير من تلك القبائل ممن فقدن الجمال اثر تلك التشوهات التقليدية المتبعة •• ولكن علماء السلالات البشرية يعللون ذلك بقولهم •• أن هذا التقليد هو رغبـة شعب وادي الأومو بعدم مشابهة الحيوانات من حيث شكل الشفاه ••

لكن شعوب الأومو تعلل ذلك التقليد المتبع بشكل يثير الدهشة فيعللون بقولهم : ان على فتاة الأومو حين تبلغ سن الزواج عليها أن تشرم شفتها وتعلق سلسلة ذهبية أو نحاسية •• أو أن تمط شفتها بشكل ظاهر للعيان وذلك لكي تبدو قبيحة •• قيل ولماذا •• أجابوا •• حتى يأنف ويشمئز من منظرها الغزاة من القبائل المجاورة الذين ينقضون بغتة على القرية ليسرقوا الفتيات ••

وتعليل آخر : يجب على الفتاة أن تشرم شفتها أو تمطهـا لكي تصبح نموذجاً للجمال المثالي في قبيلة الأومو ••

وعلى كل حال ان من يريد أن يلتقي بتلك الأعراق البشرية الغريبة بعاداتها وتقاليدها •• والتي استوطنت وادي نهر الأومو حيث الانسان الأول عاش كما تدل الآثار والحفريات •• والذي أكده العلماء •• فما عليه إلا الاتجاه على الفور الى اثيوبيا •• ويبحر في نهـر الأومو •• ويخيم في ذلك الوادي ليرى بأم عينيه •• ويلمس ما يصادفه بيديه ••

ولكن : حذار من الحيوانات المفترسة فانها لا تعد ولا تحصى ولا ترحم أيضاً ••



رحلة في غابات نهر الاومو



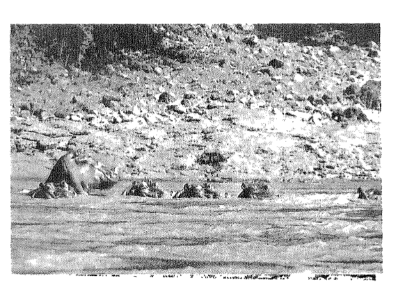
صور لسكان نهر الاومو .



سكان الأومو، عمالقة مديدو القامة يبلغ طول الواحد منهم نحو مترين.



تسكن الافاعي السامة مياه الأومو. ضربة ذيلها كفيلة بتحطيم سفينة بخارية



صورتان لحيوانات نهر الاومو

الفصل الثالث

الباكستان ـ كافيرستان

كوداي

إله الخلق .. ورب السماء

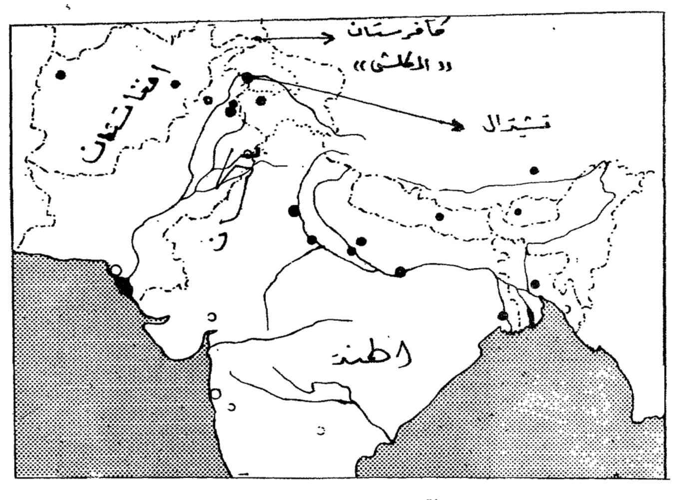
وأبا الآلهة

فكرة عامـة :

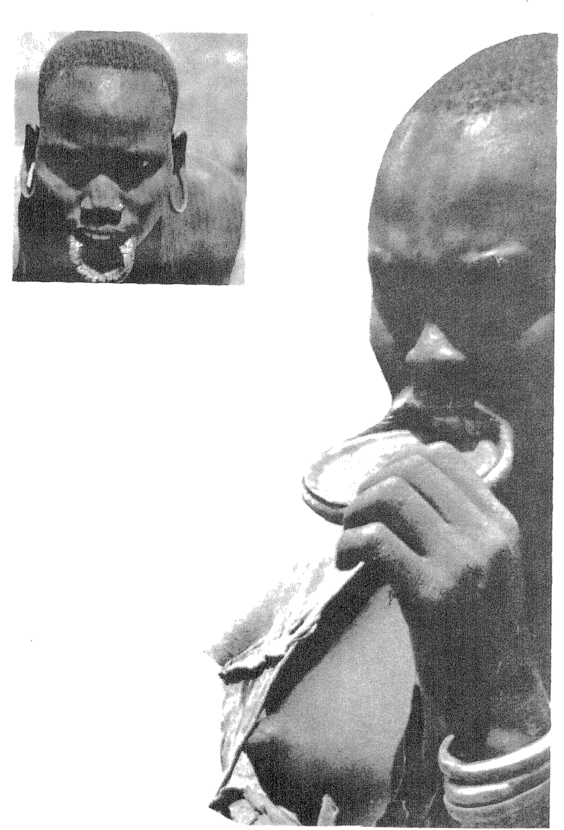
استقلت الباكستان عن الاحتلال البريطاني عام ١٩٤٧ •• وقـد كانت تضم الباكستان الشرقية والباكستان الغربية •• وتفصل بينهما «الهند» غير ان حرباً أهلية ما لبثت أنْ اندلعت بين القطاعين عام ١٩٧١ •• مما أدى الى انفصال الباكستان الشرقيـة التي تعرف اليوم باسـم « بنغلادش ـ داكا » وبقيت الباكستان الغربية تحمل اسمها الحالي ••

وتبلغ مساحة الباكستان حوالي ٨٠٣ر٩٤٢ كلم٢ •• وعدد سكانها ٠٠٠ر٢٨٠ر٧٥ نسمة •• وتدعى عاصمتها « إسلام أباد » ••

يحدها من الشمال والشمالي الغربي جبال « الهيمالايا » وجبال « الكاركورام » وجبال « الهندوكاش » والتي تنخفض تدريجياً نحو الجنوب الغربي فتشكل هضاباً متوسطة الارتفاع •• وأما المنطقـة السهلية الوحيدة فتبلغ ثلث المساحة العامة •• وتمتد من الشرق حتى الجنوب الشرقي •• ويرويها نهر الهندوس ••



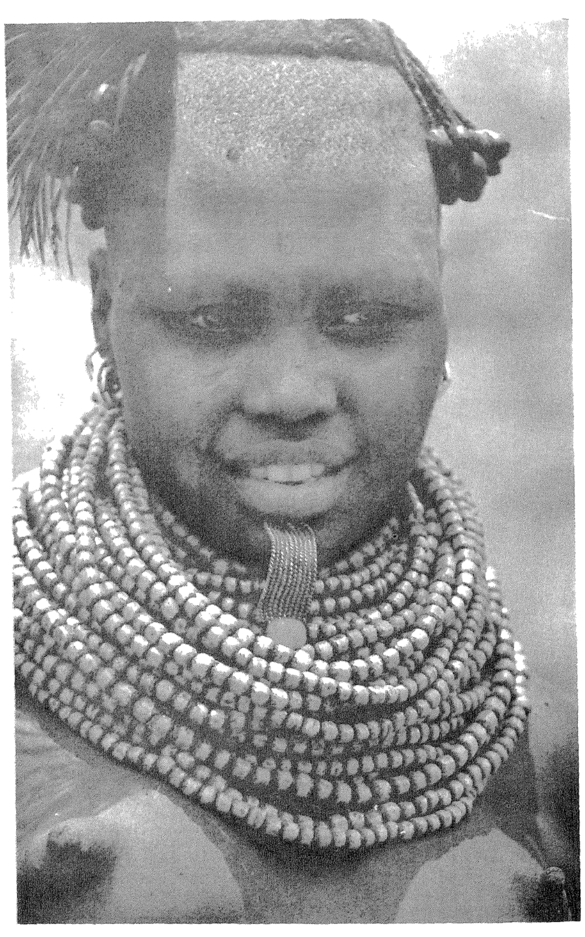
خريطة تبين منطقة شعب الكلش



تقليد متبع لاحظ الصحن الخشبي الذي يمط الشفة السفلى

وقطره ٢٥ سم . ثم لاحظ بعد ذلك شكل الشفة السفلى

وهي متدلية ... انه جمال نادر ...!



نوع ثان من التقاليد المتبعة عند قبائل وادي نهر الاومو

كوداي ابا الآلهة :

« كوداي » •• أبا الآلهة •• ورب السماء •• وإله الخلق •• إنه •• الإله الأكبر عند شعوب « الكلش » •• وهو يستوي في سمائه الخاصة لا يبين له وجه •• يعطي تعاليمه لأهل الأرض بواسطة المبعوثين من قبله من الرسل •• ومن الآلهـــة •• أولئك اللذين عبدهم شعب « الكلش » •• فأقاموا لهم المعابد الرسمية •• والإيمان بهم •• ايمان راسخ حسب المعتقدات الدينية الكلشية •• فان حياة شعب الكلش رهن بتلك القدرات الرهيبة الماورائية ••

شعب الكلش :

عندما يوشك فصل الخريف أن ينتهي •• يترقب شيوخ الكلش كل مساء مغيب الشمس •• وهي تنحدر في بطء على أطراف الجبال المجاورة •• فتحتضن بأشعتها الذهبية الباقية قمم الجبال •• وذلك قبل أن تتوارى خلف الأفق البعيد ••

وعندما يتسلل نورهـــا الشاحب ليسكن الأشجار التي تكسو التلال •• يدرك سكان وادي « الرانبور » انهم قد اقتربوا من اللقاء السنوي ••

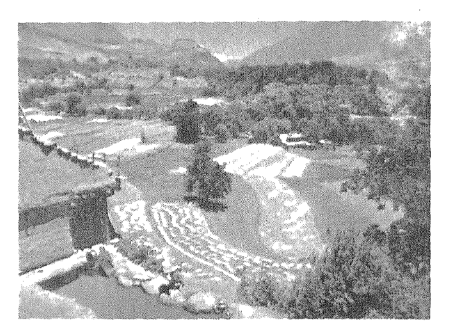
عندئذ يبدأ العد العكسي •• فيضج وادي « الرانبور » بحركة لا تهدأ •• ولا تعرف للراحة طعم •• إنه التأهب لاستقبال العيد السنوي المجيد والمبارك والمقدس ••

ودون استثناء من شعب الكلش يبدأ كل منهم بالتفنن في انتقاء لقب جديد •• كي ينضم لتلك الطقوس الدينية المطهرة والتي تسبق عادة ظهور « بالومان » إله الظلمة •• الذي يرسله بدوره الإله الأكبر وأبا الآلهة « كوداي » وذلك ليبارك تلك الشعوب •• وحضور الإله « بالومان » إله الظلمة •• يبتدأ مع إطلالة الشتاء حين يطول الليل ويقصر النهار ••

وكلمة « الكلش » تعني « الانسان » بما فيها من معنى وبشكل أوضح فهي تعني ان الكلشي هو ذلك « الانسان المتمسك بالاعراف والتقاليد دون منازع » ••

ولقد كان المسلمون يدعون « الكلش » بـ « الكافيرز » ومعناها « الكفار » •• لأن تلك التجمعات الوثنية الصغيرة حللت ما حرمه الاسلام •• إذ أنها تعبد شواهد القبور للأرباب القدامى •• وقد أباحت شرب الخمور بكافة الأنواع••وأقامت حلقات الرقص والغناء الجماعي• والتي يختلط الرجال والنساء بعضاً ببعض •• كما انهم يقرعون الطبول على المآتم أو الجنازات وفي مناسبات المراحل الانتقالية لفصول السنة الأربعة يقيمون لكل فصل حفلة وداع ••

وأساساً على ذلك فان تلك التجمعات الوثنية لم تكن في نظر المسلمين إلا قبائل مشركة بالله جل جلاله ••



«منخفض» يعلو ٢٠٠٠ متر عن سطح البحر. مسور بقمم شاهقة تحمي خصوبة الارض الزراعية التي تشكل العماد الاقتصادي الاساسي في حياة الكلش.

منظر طبيعي يتخلله صورة امرأة من

شعب الكلش





رجال فرحين بقدوم الشتاء



«القناع» التجميلي الذي تلون به الام وجه اطفالها،
مصنوع من رماد قرون العنز.. وله القدرة على حماية بشرة
الوجه من تقلبات الطقس التي تتراوح بين
الحرارة اللاهبة والبرد القارس.

ولقد سكنت تلك القبائل منطقة جبـال « الهندوكاش » وهي سلسلة من القمم والوديان •• تمتد على الحدود الأفغانية ــ الباكستانية من جهة الشمال حيث استقرت شعوب وثنية أخرى تعبد الأصنام •• ولذلك فقد سميت تلك المنطقة بـ « كافيرستان » بمعنى « أرض الكفار » غير ان هذا ما لبث أن تحول بعـد فترة قصيرة الى « أرض الضيـاء الاسلامي » بعد أن اعتنق سكان تلك المنطقة الديانة الاسلامية •• ولم يبق سوى شعب « الكلش » الذي بقي معزولاً في محيط ضيق تحده ثلاثة وديان •• ولا زالوا أمناء على تقاليدهم واعرافهم الدينية وأحوالهم الاجتماعيـة والاقتصادية •• والتي توارثوها جيلاً بعـد جيل على مرور الزمن ••

ولقـد تعرض شعب الكلش في الماضي لاجتياحات تاريخيـة •• كالغزو الفارسي •• وفتوحات الاسكندر المقدوني •• وبسبب هـذه الفتوحات والغزوات فقد تراجع شعب الكلش عن أراضيه •• راحلاً الى المرتفعات الجبلية •• وفي نهاية القرن التاسع عشر •• تمكن أمير كابول عبد الرحمن من كسر قوتهم •• فلاذو بالفرار الى نواحي باكستان الشمالية •• حيث استقروا في تلك الوديان التي تحيط بهـا جبـال « الهندوكاش » ••

وأما نهايـة القطاع الذي احتله شعب « الكلش » فهو وادي « الرانبور » وللوصول اليه يسلك السكان ذلك الدرب الطويل الذي

يصله بقرية صغيرة على الطرف الشمالي لباكستان وتدعى هذه القرية باسم « تشيترال » •• وعن طريقها تصل الى وادي « الرانبور » الذي يضم دروب وعرة جداً ••

ولكن ما هو الجديد في وادي « الرانبور » ••!!•• ان الجديد هو العثور على شعوب ذات سمات فيزيولوجية أوربية تدعو للدهشة •• إذ انك سترى الشعر الاشقر يكلل رؤوس الاطفال •• والعيون الزرقاء الصافية تضيء وجوههم •• إنها تأكيداً وبرهاناً على أن شعب الكلش لم يدع مجالاً للتمازج العرقي •• إذ لم يتناسلوا مع سلالات أخرى •• وذلك حفاظاً على صفاء عرقهم الذي بقي حتى الآن يحتفظ بأصالته ••

عيد الشوموس الكلشي :

« الشوموس » هو عيد الكلش •• وذلك عند إقبال فصل الشتاء •• يوم يتصارع الليل والنهار •• فتحتار الطبيعة بين عناق الشتاء •• وبين فراق الخريف ••

في ذلك اليوم تنفلت الغرائز من إسارها •• فلا يبقى حكم أو قانون •• فان اغتراف الملاذ هو انفعال يجمع بين الكبار والصغار •• نساءً •• ورجالاً •• واطفالاً •• ويضج الجميع دون استثناء •• فيبدون وكأنهم مقدمين على حياة جديدة ويستمر هذا الضجيج طوال شهر كامل يقدمون فيه شتى أنواع الطقوس الدينية •• يقدمون القرابين

احتفالاً بقدوم إله الظلمة « بالومان » الذي ينبعث من جديد في كل عام •• وهذا حسب اعتقاداتهم •• فان « بالومان » يُبعث وهو ممتطياً جواداً اسطورياً في ليل حالك •• فلا يُسمع سوى وقع حوافر الجواد فقط وهي تضرب صفحة الليل الشاحب ••

وقبل أن يتجلى حضور إلــه الظلمة « بالومان » المهيب وسط شعبه •• يبدأون بقرع الطبول التي يملأ صداها وادي الرانبور من كافة اطرافــه •• فتأخذ النشوة تغمر الجميع •• اطفالاً •• ونســاءً •• ورجالاً •• وهم مستسلمين للتقاليد والأعراف والتعاليم الربانية الخاصة بهم وبعقيدتهم •• فيأكلون اللحم في إفراط عجيب وغريب •• ويرقصون الليالي الطوال دون انقطاع •• وتثار لديهم حماسة لا توصف •• وهم في هرج ومرج •• وكأنهم بمن ينتفض ليحيا من جديد •• ولربما كانت هذه المرحلة هي امتحاناً عسيراً لهم طوال فترة الاحتفال بعيد الشوموس•

وأما عن الرسل والمبعوثين من قبل أبا الآلهة « كوداي » فان أول من يحضر هو « ناجاديهار » وهو نفير الآلهة •• فلقد وهبه الإلــه « كوداي » الكبير قدرة فائقة على تأويل الإرادة •• فيأخذ التعاليم التي يوحى بها إليه وبدوره يبلغها للشعب الكلشي بالتمام والكمال •• ويتجلى ظهوره وسط التراتيل الدينية •• عندئذ تقام الشعائر الرسمية وتقدم القرابين •• ولقد عرفه شعب الكلش منذ أن عرفوا الإله الأكبر«كوداي»

وتاريخهم يحتفل بقدومه كل عيد •• لأنه صاغ التعاليم الربانية •• وحدد معالم ذلك التاريخ •• فهو الوحيد بين الآلهة المبعوثين الذي اصطفاه الإله « كوداي » وذلك ليحدد باسمه القواعد الاجتماعية •• ويشكل القوانين الدنيوية •• وأيضاً فهو بدوره يكشف للشعب الكلشي الضياء •• وعلى الشعب أن يعبـد الضياء •• قيل لماذا •• قيل لأن الإله الأكبر يعشق النور والضياء ويمجده ويمنح من خلاله البركات ••

وفي اليوم السابع من كانون الأول •• يؤجج الشعب الكاشي النيران وسط الساحة •• فيأخذ لهيبها بجلي الليل عن السواد ليصبح ضياءً ونوراً وكأنه النهار قد أصبح •• فيتجمهر الناس حول النار •• ويلتف الرجال حولها كحلقة يضربون الأرض بأقدامهم في تناغم إيقاعي مثير •• بينما ترتفع الابتهالات تمجد جني الشتاء •• وتبدأ التضرعات الى الآلهة •• علها تحنو عليهم فتبارك الأمطار وتحيي ممات الأرض •• وتبعث الخيرات ••

وبعد ذلك تنضم النساء الى حلقات الرقص •• ويلتف حولهن الرجال وقد أسرهم وتملكهم الانفعال •• ومن شدة الهياج الذي يبلغ ذروته تبدأ الأصوات تعلو منشدة « ألحاناً رائعة » لكن للأسف البالغ•• إذ أن تلك الكلمات الجميلة تقترن شيئاً فشيئاً بكلمات •• « بذيئـة للغاية » فتبدو وسط تلك الالحان الرائعة كأنها نشازاً متعمداً •• وذلك

يثير الدهشة والاستغراب .. إذ يحتار الإنسان بين هذين النقيضين اللذان يجمعان مع بعضهما البعض .. لحناً رائعاً .. وكلمات بذيئة ..

وعلى كل حال ان تلك الأناشيد ليست المفاجأة الوحيدة ضمن تلك الطقوس الغريبة .. إذ سرعان ما تتحول الى طقوس جديدة وتقليد جديد .. وكان أحوالهم قد انقلبت بفعل شر لابد منه .. فيبدأ تبادل أشنع الاهانات والشتائم بألفاظ نابية ولاذعة .. تمس بالكرامة والشرف .. ومن ثم يأتون بحركات قبيحة للغاية وهم في صياح مستمر .. وتدافع لا حدود له .. وضجة تصم الآذان .. ومع كل هذه الضوضاء وهذه الاعمال يحرصون حرصاً شديداً على أن لا ينال أحدهم الآخر بأذى من جراء التدافع والانفعال الشديد الذي قد أصبحوا فريسة له .. فان الأمر كله لا يعدو كونه رمزاً تقليدياً لتجسيد الفوضى .. حيث يلغى النظام .. ويعدم الاحساس .. بالزمن .. فتلغى كافة القوانين والقيم المتعارف عليها .. رأساً على عقب ..

تراهم هكذا .. وكأن ذلك الشعب يبغي بهذا العيد أن يدمر ذلك العالم الصغير والمحدود .. كي يعيد بناءه من جديد على القوانين السليمة والصالحة والتي أمر بها الرب الأكبر « كوداي » وصاغها ورتبها إله الظلمة « بالومان » وأحضرت مع الإله « ناجاديهار » نفير الآلهة ..

. فان هذا العيد هو السبيل الوحيد لإخراج الصراعات النفسية الداخلية .. وإخراج العداء من ضمن نفوسهم خوفاً من أن تتحكم بهم

فيقعوا بها ويصبحون فريسة لاهواءها •• لذلك يخرجون كافة الاحقاد والبغضاء •• ويدخلون بدلاً عنها •• الود والآخاء والمحبة بين افراد تلك التجمعات المنقسمة الى ثماني عشائر واللذين ينتمون الى سلالة واحدة لا زعيم لها يتولى أمرها •• هناك فقط نوع من التمثيل الذاتي الحر الذي يجمع بين تلك العشائر الثمانية •• ويخضعها ذلك الاجتماع الى غربلة النوازع الشريرة الموجودة ضمن نفوسهم •• وعليهم أن يخرجوها الى الأبد ••

معبد الموتى تقدم فيه القرابين :

في معبد الموتى يمارس شعب الكلش طقس ديني لا مفر منه •• ويعتبر هذا الطقس الديني تمجيداً لارواح الموتى •• فيأتون بأشهى وألذ ما لديهم من ثمار العنب والاجاص والتوت والرمان وما يلزم أيضاً من الجبن بأنواعه •• تعبأ في سلال •• ومن ثم يضعونها أمام المعبد حيث تجري مراسيم الاحتفال على أكمل وجه وحسب الاعراف والتقاليد ••

على جانبي المعبد ينتصب عدة تماثيل خشبية لرجال لا يتعدى طول الواحد منهم خمسين سنتمتراً •• وهي منحوته على هيئة جنود الحراسة •• وهذه التماثيل لا يعدو كونها حراس رمزيين ••

وعندما يجتمع الناس يبدأ رمي تلك التماثيل بعيدان الحطب الرفيعة •• وهي شبيهة بالسهام •• ورمي التماثيل بالعيدان يعتبر تقليداً

عن اصابة كل عود عدواً لدوداً يتمثله الوهم والخيال •• وبعد ذلك يحتشد داخل المعبد شعب الكلش حيث يجلسون في صمت وخشوع يكتمون أنفاسهم خشية أن يقلقوا راحة الأرواح التي جاءت من عالمها الآخر لتتناول وجبة الغذاء المقدسة في عيد الشوموس المجيد والمبارك ••

وفي الخارج يبدأ الصخب يعلو شيئاً فشيئاً •• لقد أتى •• لقد جاء •• إنه هو الإله « ناجاديهار » •• انه يتمايل حول النار المتأججة •• وما هي إلا لحظات حتى يدعو كبار رجال العشيرة الكلشية ممن عُرفوا بالتروي والتعقل والتحفظ وعلو الشأن •• فيأمرهم باسم الإله الأكبر « كوداي » أن يرمموا المعبد من جديد •• وأن يغدقوا العطاء في هذا السبيل •• وبينما هم في صمت وخشوع يستسلم « ناجاديهار » الى غيبوبة التلاشي •• ويضمحل كالدخان •• عندئذ ترحل الأرواح الى عالمها الآخر •• فيما يتدافع الصغار حول المائدة العامرة يلتهمون أصناف الطعام الشهي واللذيذ •• وقبل قدوم الإله « بالومان » يحين عندها وقت الامتناع عن ممارسة الحب •• والامساك أيضاً عن العشق •• وتبدأ النساء تترنم بالاناشيد الرائعة •• وذلك لحين حضور « بالومان » إله الظلمة •• فقبل ذلك بأيام معدودة تبدأ أعمال التنظيف وغسل الملابس •• فتخلى المنازل من كل شيء •• فيزيلون الاقذار عن الأرض والجدران •• ومن ثم تعقم وتعطر المنازل بدخان « العرعر » وهو جنس نبات من الفصيلة الصنوبرية •• وذلك استعداداً لمرحلة الامساك عن

ممارسة الحب •• وتسمى هذه المرحلة بـ « الديتش » وينشدون نشيد « الديتش » قائلين : « أيام الديتش قادمة •• وهذا يثيرك جداً يا حفيد الاجـداد •• ستأتي بعـد حين قرب سريري •• يرتعش سروالك الفضفاض •• حينها سأمنحك الغفران •• وأبارك لك توبتك •• » ••

والنساء العذارى هن أول من ينهي تلك الطقوس المطهرية الدينية عشية قدوم إله الظلمة « بالومان » •• فينقطعن عن تناول الخبز والماء •• ويمسكن عن ممارسة الحب •• ويمتنعن عن العشق •• وحين ينتصف النهار تسارع النساء جميعاً صغيرها وكبيرها بلا استثناء الى الغدير •• فيغتسلن بمياهه عاريات وينظفن اجسادهن ويطهرهن أنفسهن بشكل يليق باستقبال الإله « بالومان » إله الظلمة ••

أما الرجال فيبدأون بإعداد الخبز المقدس •• وهو عبارة عن طحين وماء وخميرة •• ويعجن في مكان يدعى « المربط » وهذا المكان محرم على النساء دخوله •• فيجهزوا خمسة معجنات لكل اثنى •• والمعجنة خبزت مع الجوز والجبن •• ومع المعجنات الخمسة أيضاً رغيف زيادة وهو مصنوع على شكل نصف هلال •• ثقبت اطرافه في ثلاثة أماكن •• وهذه الثقوب هي رمـز الى ثلاثة حلمات •• وسبب هـذه الثقوب الثلاثة •• هو ان الاسطورة تروي عن الجنية التي ملكت ثلاثة أثداء ••

وعند عودة النساء من الغدير •• يصطففن أمام المربط •• فتغسل أطرافهن من قبل رجل واحد •• توكل إليه هذه المهمة •• ثم يشعل

غصن من العرعر ينضح بالماء حتى يتكاثف الدخان فيمرر فوق رؤوس النساء الخاشعات ثلاثة مرات •• وذلك ليحل لهن بعدها تناول الخبز المقدس •• وعند الانتهاء تلبث النساء في عزلة كاملة عن جميع الرجال بما فيهم الاطفال ••

كل شيء عند شعب الكلش يثير الدهشة والفضول بآن واحد الاعراف التقاليد العادات الديانة • • وهناك الايمان الراسخ والعقيدة الملتزم بها بلا منازع ••

واخيراً المذبح الرسمي :

بعد أن تلبث النساء في عزلة عن الرجال •• يبدأ الرجال في اختيار أفضل ما لديهم من تيوس الماعز •• فيزينون قرونها بأوراق العرعر ومن ثم يقودونها الى أعلى الوادي في موكب جنائزي على قرع الطبول حيث مركز المذبح الرسمي ••

وعند الوصول يسحب التيس الأول أمام المذبح •• فيمسك به أحد الرجال بينما يهوي قاطع الرؤوس على عنق التيس بسكين حاد •• فتندفق الدماء كالشلال تلطخ أوجه الرجلين معاً •• عندئذ يتقدم صاحب التيس فيقطع اذن القربان ويرمي بها الى النار •• وذلك يعني بأن التيس قد أصبح في عداد القرابين وقد قدم الى الآلهة تكريماً وتمجيداً لها •• ثم يفصل رأس التيس القربان ويوضع قرب النار •• فان رائحة اللحم

المشوي يروق جداً للآلهة •• وهكذا دواليك تذبح القرابين جميعها على هذا الشكل ••

فهذه التقاليد والاعراف المتبعة •• يعتمدها شعب الكلش تعبيراً عن الاخلاص للإله الأكبر « كوداي » •• وانهم أمينون على تعاليم الرب وعظمة المبعوثين من الآلهة ••

وبذلك نرى ان تصميم الشعب الكلشي على هذه العادات ربما استمرت الى الأبد •• وهذا الدين الغريب في عاداته وتقاليده واعرافه وتعاليمه لهي تأكيداً على تصميم شعب الكلش بالتمسك بها ••

ترى أي قدر ينتظرهم ••!!••

* * *

الفصل الرابع

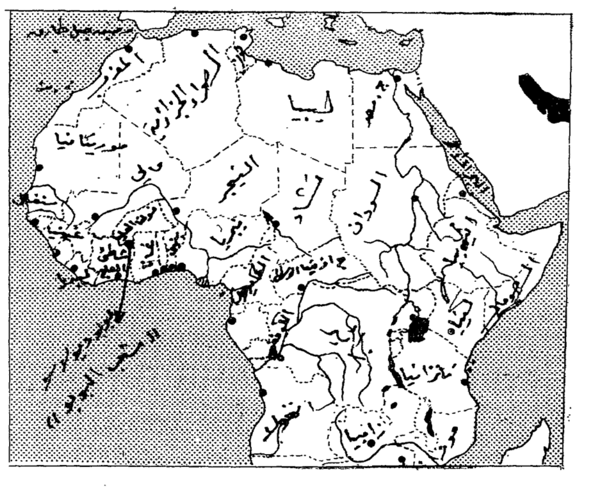
فولتا العليا ـ بوبو ديولاسو

البوبو
شعب مسكون بالأشباح

فكرة عامة :

نالت جمهورية « فولتا العليا » استقلالها عن « فرنسا » عام ١٩٦٠ تبلغ مساحتها ٢٧٤٫٢٠٠ كلم٢ •• وعدد سكانها حوالي ٦٫٤٠٠٫٠٠٠ نسمة •• ونظام الحكم فيها جمهوري •• وتدعى عاصمتها «واجادوجو» وأما عاصمتها القديمة فقد كانت « بوبو ديولاسو » •• اللغة الرسمية هي الفرنسية ••

تتألف البلاد من هضاب متوسطة الارتفاع •• تنحدر تدريجياً نحو الجنوب •• ورغم وجود منابع نهر الفولتا « الأبيض والأسود » إلا أن تربتها فقيرة جداً •• ولا تعطي من المحاصيل سوى كميات محدودة جداً ••

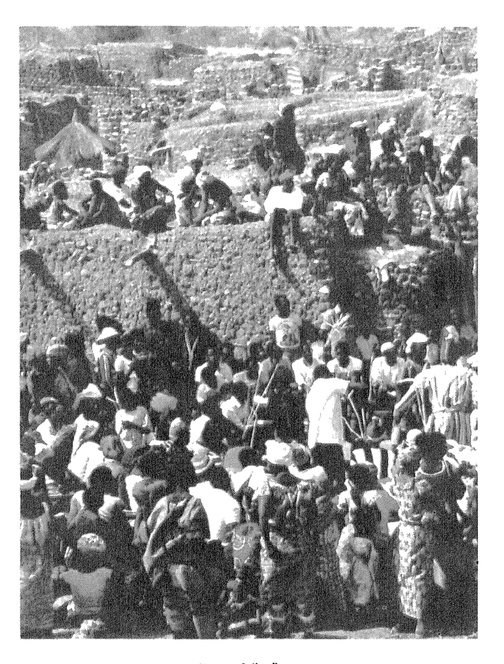


خريطة تبين موقع شعب اليوربا



قرية شعب البوبو

كورومانى



قرية كوروماني

انفردت بين قرى شعب البوبو

شعب البوبو في سطور :

بقيت بلاد « البوبو » مجهولة مدة طويلة •• فلم يتعرف إليهـا إلا بعض الشعوب الافريقية المجاورة •• وتم اكتشافها في القرن التاسع عشر •• بالأخص مع بداية عهد الاستعمار الغربي في افريقيا •• وقد كانت ملاحظات الرحالـة الأوربيين الأوائل تنعت شعب « البوبـو » وتوصفه بأنه « **نصف متوحش** » ••

وفي عام ١٨٩٧ عندما احتلت احدى الكتائب الفرنسية بـلدة « سيا » المعروفة باسم « بوبو ديولاسو » ومع بـدء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ بدأت السلطات الاستعمارية الفرنسيـة تتعرف بشكل جدي وعن كثب الى سكان تلك البلاد الأصليين ••

ولم تمض فترة قصيرة من الزمن حتى كان الاستعمار الفرنسي يحاول تجنيد العديد مـن شبان شعب البوبـو ليخوضوا الحـرب الاستعمارية •• إلا أن هذا الشعب ثار مراراً ضد المستعمر وخاض حروباً طويلة معه •• بدءاً من بلاد « البوا » الواقعة على اطراف وادي فولتا العليا •• وما لبثت حركة التمرد في تلك المنطقة حتى بدأت تشمل سائر البـلاد •• فأظهر شعب البوبو مقاومة عنيفة في صـد هجوم المستعمر •• فالخبرة القتالية التي يحملها شعب البوبو كانت واسعة

جداً رغم وجود تلك الاسلحة البدائية والتي تمكن من خلالها مواجهة الجنود المستعمرين الفرنسيين المدججين بالسلاح الحديث •• وهكذا باءت بالفشل جميع محاولات المستعمر الفرنسي في السيطرة على شعب البوبــو ••

وتكمن قوة شعب البوبو في تمسكه بتقاليده العريقة ومعتقداته الايمانية الراسخة •• وقــد سبق شعوب العالم المتحضرة الى اقامــة علاقات اجتماعية واقتصادية مبنية على روح المساواة المطلقة بين الافراد والجماعات •• وأيضاً رفض الملكية الفردية للارض •• والتعاون هو الوسيلة الأولى الأساسية في الانتاج الجماعي عند مجتمع شعب البوبو••

فكل هذا التماسك كان كفيلاً في عدم السيطرة للمستعمر الفرنسي على شعب البوبو ••

الطريق الى كوروماني :

على امتداد الطريق •• ترى المدن الضخمة والقرى الصغيرة •• وعند الانتهاء من مخرج العاصمة لفولتا العليا •• يبدأ الشريط يقودك من السهول الرائعــة والغابات الكثيفة الى مدخل العاصمة القديمــة « بوبو ديولاسو » التي تترامى خلفها بــلاد البوبو •• « والبوبو ديولاسو » كانت قد فقدت مكانتها الاقتصادية وذلك مع قيام العاصمة الجديدة والتي تدعى « واجادوجو » لذلك فقد بدت وكأن احياؤهــا أصبح شبه ميت •• حتى الجامع الأثري قد شوه منظره المهيب عنــد إقامة تلك المنارة الحديثة الى جانبه ••

والطريق طويلة الى بلاد « البوبو » •• إذ عليك أن تجتاز بعض القرى الاسلامية التي تحيط بخيمات لاجئي « الموسي » وأيضاً عليك عبور النهر الأحمر « كوبيني » ومن ثم تجتاز حقول الأرز التي تغطي حدود المدينة الخارجية •• وصولاً الى النهر الأم الذي دعي بـ « فولتا الأسود » •• وهناك يثيرك منظر التماسيح الضخمة •• وافراس النهر المرعبـــة ••

وعلى امتداد الشطآن الصخرية •• يمتد السهل الرائع وهو كثير العشب •• وخلف تلك الأشجـــار المتكاثفة يتراءى لك قـــرى شعب « البوبو » من بعيد •• بيوت منخفضة وكأنها كتل متراصة ••

ولتبلغ تلك القرى •• عليك أن تسلك الطريق من « كوندوغو » التي تؤدي الى « سولانزو » ومن بعدها « نونا » وأخيراً تصل الى تلك القرية والتي تدعى « كوروماني » التي انفردت بين قرى « البوبو » بميزات رائعة •• إذ أن دخول احدى قرى « البوبو » للمرة الأولى ستكون بالفعل تجربة لا يمكن نسيانها على الاطلاق •• لأنها ستكون فريدة من نوعها وفي نمطها واسلوبها ••

شعب البوبو :

ان أشجار « البا أوبات » الاستوائية تشكل جـــداراً خارجيـــاً للقرية•• وليس هناك سوى منفذ واحد •• هو عبارة عن ثغرة صغيرة •• وهي وحدها المدخل الى قرية البوبو « كورماني » ومن بعده الى الداخل

يحيط بك ممر ضيق يصلك بالمنازل المتلاحقة على الجانبين •• وهذا المر الضيق يستحيل السير بين تعرجاته دون عناء وجهد كبير •• لكن الفضول والدهشة مما ستراه سيجعلك تنسى عناءك من خلال الحركة النابضة التي يفيض بها ذلك المكان •• وان يبدو لك في بادىء الأمر بأنه خال من أي مظهر ينم عن وجود حياة بشرية •• لكنك عندما تصادف ذلك الشعب المحتشد في الأزقة الضيقة •• يتمثل لك حقيقة لا مفر منها ولا مهرب •• إنك أمام رتابة الحياة الاجتماعية العائلية والاقتصادية الرائعة في التصور ••

ويتعلق شعب « البوبو » بأرضه تعلقاً شديداً •• إذ يحرص عليها باستمرار ويحيطها بعنايته بايمان قوي وراسخ •• لذلك فقد اعتبر شعب « البوبو » بأنه أمهر من عرفته افريقيا من بين المزارعين •• فلم تفسده التحولات الاقتصادية •• فقد بقي فلاحاً أصيلاً •• أميناً على أرضه ومكتفياً بما تسخو به من محاصيل متنوعة يستهلك منها حاجته ويبيع الفائض في أسواق « كوكا » ••

مؤسس القرية جني :

ان العودة الى تاريخ التقاليد المتوارثة والشائعة عند شعب البوبو في كوروماني •• فان ذلك التاريخ يوضح لنا الكثير عن خفايا الحياة لديهم •• وخاصة ما رواه بعض العلماء الانتربولوجيين حول ذلك التاريخ الغامض والمبهم ••

يروي التاريخ بأن شعب « البوبو » وقع فريسة لاسطورة قديمة تقول بأن مؤسس القرية « جني » •• ولقد كان واحداً من تلك الكائنات الغريبة التي لازمت الدغل المجاور حيث خالطت حيوانات الدغل وانست الطبيعة الجديدة •• لكن ذلك الجني ما لبث أن تحول واستوى الى بشراً •• وتزوج إحدى النساء •• وبذلك أصبح له عائلة اتخذت لنفسها اسم « الترايوري » إلا أن بعض الكائنات الغريبة التي كانت تعيش في الدغل المجاور واللذين سماهم فيما بعد شعب البوبو بـ « الويارکورو » بمعنى « جن النور » •• فقد كانوا مجاورين لعائلة « الترايوري » إذ بدأت تلك الكائنات الغريبة تبث الرعب في تلك المنطقة •• وقد عمدوا الى السحر الخبيث يقتلون به كل من يصادفونه •• وذلك بتصويب اشعاع غريب غير منظور يطلق على الفريسة فيصرعها في ثوانٍ معدودة •• غير ان « الترايوري » الذين رحلوا عن ذلك المكان خشية من الجن واختاروا مكاناً لاقامتهم الجديدة والبعيدة عن الدخل •• فما لبثوا أن ركنوا حتى اسرعوا مرة أخرى للفرار وقد بدأت تلاحقهم هذه المرة لعنة « سوغو » جني الدغل وإلهه •• لتحصد منهم الكبار والصغار بلا رحمة •• ومع ذلك فقد صمموا على البقاء أحياء •• فانتقلوا مجدداً وللمرة الأخيرة الى موقعهم الحالي في قرية « كوروماني » حيث استقروا نهائياً في سلام •• فاستثمروا الأراضي الخصبة وكلهم ايمان بأن الآلهة تحيطهم ببركاتها •• وترعى زرعهم وتوسع رزقهم •• ولم يفكروا قط في

امتلاك الأرض فلقد اعتبروها حقاً مقدساً للجميع دون استثناء لا يجوز لأحد التصرف بهـا على هواه •• ولكي يبق أولئك الكائنات الغريبة الشريرة راضيين عهم •• أقام « الترايوري » مذبحاً خاصاً ما يزال قائماً حتى الآن •• يقدمون الضحايا والقرابين كي يتقوا أولئك الاشرار التي تعيش في الدغل المجاور ••

وهكذا عزم « الترايوري » بعد ذلك على بنـاء القرية بشكل جديد •• حيث اقاموا فيها شبه معزولين في محيط من الاشجار الملتفة حول قريتهم المجددة « كوروماني » ••

وقد خيمت بعـد فترة قصيرة بالقرب منهم قبائل جديدة تدعى قبائل « الداو » ما لبثت أن نشأت بينهم وبين « الترايوري » أي شعب « البوبو » حالياً •• علاقة بحكم الجوار •• وانتهت الى عقد اتفاق بينهما يضمن للطرفين الحقوق وكافة الواجبات المتعارف عليها بـين القبائل ••

وبعد فترة قصيرة انطوت القبيلتـان تحت لواء واحـد وسلطة موحدة •• تمثلت فيها الحياة الاجتماعية الديمقراطية بكافة مظاهرها •• وقد أصبحوا بذلك قبيلة واحدة حتى الآن ••

إلـه القرية ديو :

بقي لدينا معرفة هذا الشعب بدياناته وتقاليده •• فنرى ان الإله الوحيد الذي يملأ ذهن هذا الشعب والحافز الفعلي الذي يحرك دوافعه

هو الدين المتمسك بتعاليم الإله الغالي •• إله القرية « ديو » •• إنـــه دين غني ومعقد •• إلا أنه يكشف لنا بشكل جلي وواضح عن شخصية شعب « البوبو » الفياضة بالحياة والمتماسكة باليقين والايمان الراسخ والمتعمق في نفوسهم دون قيد أو شرط •• لذلك قد لا يدهشك أن تجد في تلك القرية الصغيرة التي لا يتجاوز سكانها ٣٠٠ نسمة نحو ١٣٧ مقاماً مقدساً موزعة في أماكن مختلفة داخل وخارج القرية •• وقد تم بناؤها تمجيداً وتكريماً لإله القرية « ديو » الإله الذي يتلقى التعاليم من الإله الأكبر وينشدها على شعب «البوبو» ويمنح البركات لهم على الدوام ••

ومن شهر حزيران حتى شهر تشرين الأول •• يثابر رجال «البوبو» على الذهاب الى مزارعهم بشكل مستمر •• لذلك يخف اقبالهم على إقامة الشعائر المقدسة التقليدية ••

وبما ان شعب « البوبو » هو شعب مزارع •• ولم يعرف تربية الماشية من خلال حياته•• فقد اعتبر الصيد نشاطاً ثانياً في حياته العملية•• والصيد له جانب عظيم من الأهميـــة لدى شعب « البوبو » •• لكنهم ليسوا خبراء بأمور الصيد •• إذ أنهم لم يعرفوا الشباك أو أي نوع من أجهزة الصيد المعروفة •• لذا تراهم ينصبون قفة صغيرة وسط مياه النهر الراكدة بفصل الجفاف في فصل الصيف •• وما هي إلا لحظات تراهم يلتقطون ما علق في القفة من أسماك منوعة في الاحجام ••

وموسم الجفاف أورثهم نشاطاً آخر ومن نوع غريب •• إذ لا يمر يوم إلا وتقدم فيه القرابين وهم في صلاة خاشعة •• وذلك تعبيراً عن التمجيد للآلهة الكبرى •• آلهة الكون •• وتقديساً لها •• علها تباركهم وتمنحهم الخير والرزق الوفير ••

الإله الأكبر « وورو » :

تروي الاسطورة التي نسجت حولها كافة أوهام شعب «البوبو» •• فالاسطورة تروي كيف خلق الإله العظيم « وورو » هذا الكون •• وكيف خلق هذه البشرية بتلك الرتابة الخلقية ••

فعندما انتهى الإله الأكبر « وورو » من مهمته فكر ملياً قبل أن يعود الى سمائه الخاصة به •• وخوفاً من أن يزرع البشر الذي خلقها الفوضى والبلبلة •• استدعى الإله الأكبر « وورو » أحد رجال القرية المعتمدين ذوي الرأي السديد •• وباح له بسر الاقنعة •• وكشف له عن نماذجها المقدسة التي لا تضاهيها أية قدسية في معتقدات الديانـة لديهم •• ولقد اعلمه أيضاً بأن هذه الاقنعة تزود البشرية بقدرة كبيرة وهائلة على طرد الشر من النفوس وتطهرها الى الأبد وتمنحها الـود والإخاء والمحبة •• كما أنها تمدهم بقوة ما ورائية تبعث فيهم الأمن والسلام •• ويصبح الحاكم الفعلي هو العدل بين البشر ••

وفي ساعة مبكرة من الصباح •• تستيقظ القرية بأجمعها •• وذلك كي تفتتح الاحتفالات الدينية المقدسة •• حيث يقدمون القرابين المقدسة



نماذج من الاقنعة التي تغطي
الجسد بالكامل ..



من حيوانات الدغل •• والتي يُستباح دمها في المعابد •• بينما تعلو التراتيل الدينية المقدسة ممجدة الآلهة المعبودة والعظيمة التي تقدم لهم الخير والرزق الوفير وتمنحهم البركات والسلام ••

وفي الساحة تعقد حلقات الرقص التعبيري حيث يستسلم الجميع لحمية الهذيان بالحركات الجنونية الغريبة •• والانغام الدينية المطهرة •• فيقرعون الطبول والمزامير بايقاعات رائعة بينما تضرب أقدامهم الأرض في تواتر رتيب ينسجم مع غرابة هذا الطقس الديني المقدس ••

وعلى حين غرة •• والجميع في غمرة من الهياج •• يفاجأ الشعب بتلك الأشباح المُقنعة التي تدب الرعب في القلوب •• تنبثق من قلب الدغل المجاور لتنتشر بينهم •• وهم ملتحفين بأوراق الشجر من الرأس الى أخمص القدمين •• وأما أولئك الأشباح المرعبة فانهم من كبار الشخصيات الدينية ممن أوكل لهم اسمى المهام الروحية الغريبة •• وهذه المهام تتصف بنشر الرحمة الإلهية بين البشر •• فالبوبو يعتقدون ان الخطايا التي ارتكبها البشر تفسر العالم بأكمله •• فاذن لابد من أن تقوم تلك الأشباح التي تجسدت فيها روح الآلهة العُظيمة كي تطهر المكان من دنس الخطيئة ورجس الفحشاء الى غير رجعة ••

ومن ثم تتوارى تلك الأشباح في الدغل المجاور خلف الأشجار ••

والجميع في دهشة واستغراب ممزوجين بالخشية والرهبة من حضور روح الآلهة العظيمة التي تجسدت في تلك الأشباح ..

وهكذا اعتاد شعب « ألبوبو » في كل عام أن يقيموا الاحتفالات والطقوس الدينية لذكرى وتمجيد الإلـه « وورو » وأيضاً لتمجيد مبعوثيه مثل إله القرية « ديو » ..

ويخضع الأطفال منذ الصغر لتدريبات أولية ترافقها الدروس الدينية حول التعاليم المقدسة .. حيث يكشف لهم الستار عن مدلولات الاساطير التاريخية .. ومن ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الاختبارات الجسدية القاسية ومنها أيضاً النفسية .. وبذلك يؤهل الأطفال بعد أن يصبحوا شباباً بالاشتراك بإداء الطقوس الدينية التقليدية .. حيث يُقتلون بشكل رمزي .. ثم تعاد إليهم الحياة برهاناً على قدرة الآلهة المعبودة ..

والاقنعة لها اشكال وأوصاف واسماء .. منها اقنعة الـ « غوالا » تلك الكائنات الغريبة التي تلتحي قشور الأشجار أو الألياف النباتية من الرأس الى أخمص القدمين .. وهناك اقنعة الـ « بول » وهي متمثلة في اللباس الأبيض الذي يلتصق بالجسد .. ولا يظهر أصحاب هذه الأقنعة البيضاء إلا في الليل .. وذلك لاثارة الخوف والرهبة في النفوس البشرية .. وأما اقنعة الـ « كيل » فهي اقنعـة غريبة ذات تقسيمات مخيفة .. فهي أشد الاقنعة رعباً وأكثرها شيوعاً .. وهي الوحيـدة

القادرة على بث الرعب في الأرواح الشريـــرة التي تسكن في الدغـــل المجاور •• حيث تطهر المكان من كل شر ليبقى نقياً وطاهراً ••

وعند الانتهاء يلتف الجميع دون استثناء أحد في رقصات ايمائية تعبر عن الترابط •• وبعدها يتسلل الضوء الشاحب للشمس الغاربة وينتهي كل شيء ••

والى العيد القادم في العام القادم ••

فالإله الأكبر « وورو » يمنح بركاته للجميع ••

* * *

الفصل الخامس

الهنـد ـ البنجـاب

القبائل السيخيّة في الهند

الأقلّ والأقوى

فكرة عامـة :

استقلت جمهورية الهند الاتحادية عن بريطانيا عام ١٩٤٧ •• وهي تحتل الجزء الأكبر من شبه الجزيرة الهندية جنوبي غربي الصين ••

تبلـغ مساحتها ٣٫٢٦٨٫٠٩٠ كلم٢ •• وعــدد سكانها حوالي ٦٣٥٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة •• ونظام الحكم فيها جمهوري •• وأما العاصمة فتدعى « نيودلهي » ••

تتألف البلاد من سفوح جبال الهيمالايا التي تمتــد على طول الحدود الشمالية مسافة ٢٤٠٠ كلم٢ •• ونحو الداخل منطقة منخفضة هي السهول الشمالية الخصبة حيث تتجمع أغلبية السكان ••

وأما المناطق الداخليــة الوسطى والجنوبية فتعلوها هضــاب « الديكان » بينما تمتد جبــال « الغات » على السواحل الشرقيــة والغربية •• اعلاها يصل الى ارتفــاع ٢٦٩٥ م في أقصى الجنوب •• والأنهار العديدة التي تعبر معظم المناطق في الهند •• وأهمها : « نهر الغانج » و « الهندوس » و « البراهمابوترا » •• والمناخ في الهنــد موسمي وكثير الأمطار لاسيما بين شهري « حزيران ـــ ايلول » وشديد الحرارة في المناطق المنخفضة •• ومعتدل على المرتفعات وعلى الشاطىء الغــربي ••

الغابات تنتشر على سلسلة جبال الغات الغربية فقط •• وانتاجها من الأخشاب لا يكفي الحاجات المحلية ••

وأخيراً نذكر اللغة الرسمية المتعارف عليهــا وهي •• الهنديــة والانكليزية بالاضافة الى مئات من اللغات واللهجات المحلية ••



خريطة تبين موقع البنجاب

البنجـاب :

ما بين نيودلهي في الهند •• ولاهور في الباكستـان •• تترامى مدينة « البنجاب » •• هناك ولد الطفل المعجزة « ناناك » •• لم يكن هذا الطفل كغيره من الاطفال •• فقد كان يتميز بخاصية ذاتية منفردة •• وبمزايا شخصية مفقودة لدى كافة أطفال العالم ••

كان « ناناك » لايشارك أحداً في اللهو •• ولا يحب الاختلاط •• بل كان يأنس للوحدة والعزلة بشكل لا حدود له •• لان فيهما يتمكن من التعقل والرزانة •• وأيضاً كان لا يرتكب الذنوب ولا يحب الكذب أو الافتراء أو المراوغة •• انه بالفعل طفل غريب في نمط حياته عن كل اطفال العالم •••

كان الجميع من اقاربه لا يعتبروه طفلا طبيعياً •• بل انه طفـل خارق الذكاء والفطنة •• فلديه من الحلم مالا يوجد عند الكبار •••

ولكن والديه كانا يعتبرانه طفلا مريضاً نفسياً •• اذ انه من الغريب ان ينفرد بنفسه ويمضي اكثر وقته في تأمل بهذا الكون •• وهو لا يزال ابن اربع سنوات •••

لذلك أراد أبوه في البداية ارساله الى المدرسة لكي يصرفه عن تلك العزلة الغريبة من نوعها عند طفل بعمره •• وأيضاً يمكنه ان يأنس بوجود الاطفال •• فسيتبدل حياته الجديدة بعزلته ووحدته وتأملاته ••

وبالطبع كان ذلك اعتقاداً من أبوه ومن آراء العائلة على ان اجواء العالم قد تشده من عالم الخيال الى عالم الواقع والى معترك الحياة .. كي يعيش في قلبها وليس على هامشها .. وبذلك يمكنه أن يدرك أي خطأ كان فريسة له طوال مدة تلك الوحدة ..

وبعد فترة من الزمن .. بدأ الأب يفاجأ بتفوق طفله « ناناك » .. اذ اتقن اللغات الهندوسية والسنسكريتية والفارسية في سرعة تفوق كل تصور .. ومع كل ذلك لم تتبدل تلك العادة التي مارسها « ناناك » منذ البداية .. الوحدة والعزلة والانطواء على النفس عند العودة الى المنزل ...

وعندما اصبح في سن الشباب أصبح يخفي عن أبويه كل شيء عن حياته الخاصة .. اذ انكب سراً عن أهله على دراسة الديانات السماوية المتعددة المعتنقة من قبل الشعب الهندي . فدرس الديانة الهندوسية والديانة البوذية والديانة الاسلامية .. فكان يدرس ما يراه صحيحاً.. ويترك مالا يتطابق مع قناعاته .. ويلاحظ ما لم يدعم بدلالات منطقية مقنعة غير آبه بتعليقات المدرسين .. ولقد وصفوه المدرسين بالخبل والجنون .. لكن هذه التعليقات كانت اصراراً له على متابعة ابحاثه ودراساته الدينية والفلسفية .. ولم تفلح كل المحاولات المتكررة من والديه لصرفه عن هذا العمل الجنوني ..

وعندما أراد والده أن يلحقه معه للعمل في الحقل .. واجهه « ناناك » بقوله : « يا أبي أنا ملهم من الرب وعلي تأدية الامانة .. وليس جنوناً من يهوى الذات الالهية الخالقة لهذا الكون وهذه البشرية ... » ...

كل ذلك لم يثبط عزيمة وهمة « ناناك » .. الى ان جاءه ذات يوم أعمامه .. وتقدم أحدهم وكان رجلا صالحاً موثوق به من قبل « ناناك » فقال له : « يابني انت على الارض ولست في السماء .. حاول ان تكسب قوتك ومعيشتك كالآخرين » ..

وبناء على رغبة العم وقطعاً للخلافات وافق « ناناك » أخيرا على تولي مركز المراقب في الجيش المغولي آنذاك .. حيث أثبت جدارته فأصبح محبوبا من رؤسائه ...

هبوط وحي الإله :

ومع ذلك كان « ناناك » لا يزال منكباً على المطالعة في الكتب يغوص في معانيها .. ويحلل أبعادها . ويفك رموزها .. ويستمد منها القدرة على الاحاطة بأسرار هذا الكون الشاسع واللا متناهي ...

وذات يوم كان « ناناك » يصلي كعادته على ضفة النهر .. حيث اعتاد الانفراد بنفسه وبينما هو في الصلاة استفاق بغتة من تأملاته .. فأحس بقشعريرة تسري في جسده .. وقد أخذت روحه تشع بنور

سماوي •• فأحس بنفسه وكأنه قد أصبح غريباً حتى عن نفسه •• فلقد ملأت نفسه وذهنه رؤيا غريبة •• لقد هبط عليه اخيرا « الوحي » مبلغاً له الرسالة السماوية يدعوه فيها الى نشر رسالة الإله ويبشر بدين المحبة والاخاء والمســاواة •••

عندئذ انطلق « ناناك » يعلن نفسه على الملأ •• بأنه رسولا من قبل الإله في السماء •• فأخذ يجوب البلاد •• مبشراً بالدعوة المقدسة•• يدعو فيها الناس الى الوحدانية والايمان بإله الخلق الواحد الاحد •• وهكذا أصبح « ناناك » الرسول المبشر بالدين المجيد •• كيف لا وهو الذي كان يتصف بالتعقل والرزانة منذ صغره •• فقد كان حليماً هادئاً لايرضى الاذية لاحد مهما كانت صفته •• وكان يعفي عن المسيء ويتكر الظلم ويدعو الى المحبة والسلام •• ويطهر الخلق من الفساد والرذيلة والضلال •• وناناك لم يبني المعابد بل على العكس كان يدعو الى تكسير الاصنام •• وعدم عبادة الاوثان التي لا يمكنها فعل شيء •• وكذلك حرم الزواج غير الشرعي ••

واستنكر حرق جثث الموتى الذي كان قد كرسه الهنود تقليــداً مقدساً لهم •• ودعا أيضاً الى التخلي عن الحجاب ولم تكن كل هذه التعاليم جزءا من العقيدة الدينية التي انزلت عليه بواسطة الوحي بــل كانت جميعها اجتهادات ذاتية •• فان « ناناك » كان قد درس الديانات

البوذية والهندوسية والاسلامية وتعلم ايضا عدة لغات فكل ساعده على انجاز اجتهادات ذاتية اعلنها للشعب ••

وعندما توفي « ناناك » كان هناك الملايين من اتباعه اللذين آمنوا بتعاليمه •• يسيرون خلفه في صمت مطبق يغلفه الحزن العميق •• ولقد أوصى « ناناك » وهو على فراش الموت •• بأن يكون « آنغاد دين » خليفة له ينظم المبادىء المقدسة ويحفظها دون ان يبدل فيها ولو حرفاً واحداً ••

والعقيدة السيخية مبنية على اساس المساواة •• لا فرق بين غني أو فقير •• فلقد حرمت الرق •• ونبذت الطبقية فالجميع سواء ••• لا فرق بين هذا وذاك على الاطلاق وعلى هذا الاساس لم تكن المهمة الملقاة على عاتق « آنغاد دين » بسهلة ••

توالت السنون تبعتها القرون •• وما زالت قبيلة السيخية على ما هي •• متماسكة بالمبادىء والعقيدة •• تمارس التقاليد الدينية الذي حفظته تاريخاً طويلا •••

فالمشاركة والديمقراطية والحس الانساني هو عقيدتهم •• فان السيخية جمعية فريدة اعتمدت بعض مبادئها من الديانتين الاسلامية والهندوسية •• وان ناقضت كلا منهما في بعض مادعيا اليه •• فالسيخية هي جماعة من الاتقياء تحولت في الضرورة الى جماعة من المحاربين

الاشداء والاقوياء دفاعاً عن دينهم بتقاليدها واعرافها •• وشعارهم هو بأنهم ليسوا خرفاناً تعلق من رقابها للشنق ••

وقد بلغ تعداد قبيلة السيخية حاليا حوالي اثنى عشر مليونا نسمة يقيمون في الهند واربعة ملايين نسمة منتشرة في بقاع هـذا العالم •• وشعب السيخ لم ينحدر من عرق أصيل واحد •• بل تعددت سلالاته •• فمنهم •• الجات والهندوسكيت اللذين شكلوا طبقة المالكـين •• ثم الآروراس وهم سكان الهندوس •• والمازابيس وهم الطبقات الدنيا •• والمزارعين الاتقياء اللذين اصبحوا على مرور الزمن اطباء ومهندسين وتجاراً وموظفين احتلوا أعلى المراكز ••

القواعد الخمسة :

للقبيلة السيخية قواعد خمسة في حياتهم يعتمدون عليها اعتمـادا كليـا •• وهي كالتالي :

« الكيش »

اقتداء بشمشون الجبار الذي اشتهر بأن قدرته الخارقة تكمن في شعر رأسه المسترسل •• فقد ارخى على هذا الاساس رجال السيخية شعور رؤوسهم واطالوا لحاهم••تقيدا بالقاعدة الاولى•• «الكيش»••

« الكانغـا »

القاعدة الثانية هي « الكانغا » وهي عبارة عن الضفائر المجدولة فوق الرأس •• وذلك تعويضا عن المشط •• وكي يكونوا على أهبـة الاستعداد لنجدة الطائفة •• وذلك يتطلب مهارة في الحركة والوثب ••

« الكاتشا »

وهي عبارة عن تحريم ارتداء « الدوتي الهندي » وهو قماش فضفاض يلف حول الجسد فيعوق الحركة •• لذلك اعتمد هذا الزي الباهظ الثمن محرما •• واستبدل بـ « الكاتشا » وهو سروال متسع يضيق عند الركبتين للنساء والرجال على السواء ••

« الكارا »

وتيمنا بفضائل « ناناك » الذي لم يعرف البهرجة •• حرمت الزينة والحلى والجواهر •• واكتفوا بسوار حديدي يلف حول المعصم ويدعى «الكارا» والذي اعتمد على التقليد المتوارث والقائل بأن الحديد يبعد اغواء الشيطان ••

« الكيربان »

أما القاعدة الخامسة والأخيرة •• فقد دعت الى تقلد « الكيربان » وهو عبارة عن سيف تنطوي قبضته على الحد المستل الذي لا يبين له اثر الا عند الحاجة فقط ••

المعابد والمزارات :

في « ياتنا » أحد أهم المراكز الدينية السيخية •• يحج اليه الملايين من شعب هذه الديانة •• وتعتبر هذه المدينة •• القلب والرئة للطائفة السيخية •• ففي الفناء الواسع يقف الداعي والمبشر حاملا مكبر الصوت بالقاء المواعيظ على البشر •• بينما ينهمك الطباخون في الخيم بتهيئة

الطعام بأصنافه •• وفي الممرات الضيقة يجلس الشيوخ والاطفال خاشعين صاغين بقلوبهم وآذانهم الى المبشر •• اما في الداخل ضمن المعبد فتتربع النساء سافرات الوجوه •• مستغرقات في التأمل والصلاة •• وعلى الجدران حفرت عبارة متكررة اكثر من مرة •• وهي •• « غورو يحب البشر •• كل البشر » •• ومعنى كلمة « غورو » هو رسول الإله الذي يحمل التعاليم ويحفظها على الدوام بين الناس ••

والمحبـــة دون منـــازع هي شعـــار « ناناك » المبشر الاول في حياة الطائفة السخية •• آه وألف آه •• ماذا لو حدث واصبحت المحبة ملكا للجميع في هذا العالم •• ماذا يصار لو أخذت تسود المحبة قلوب الناس جميعا •• أليس هذا ما يتمناه كل انسان على وجه الارض ••

وبذلك نرى ان السيخية هي طائفة الاقلية والاقوى في الهند •• انطلقوا من البنجاب •• وانتشروا في انحاء العالم ينشرون دعوتهم اينما حلوا •• ويبشرون بالسلام •• ايمانهم قوي ويقيني وراسخ••وصلاتهم تأملات روحية تضيءاعماقهم لتوصلهم بملكوت الإله المعبود••وشعارهم المحبة ــ الاخاء ــ السلام ــ وتراثهم تقاطع التاريخ الرائع والمدهش ••

أليست هذه الشعارات أعجوبة خارقة ينتظرها العالم بأسره •• ماذا يصاو اذن لو اصبحت ملكا للجميع •••

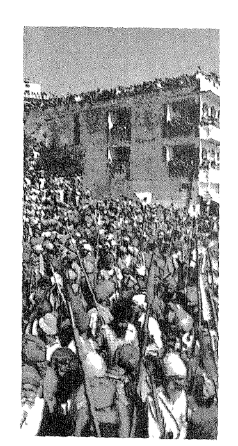
❋ ❋ ❋

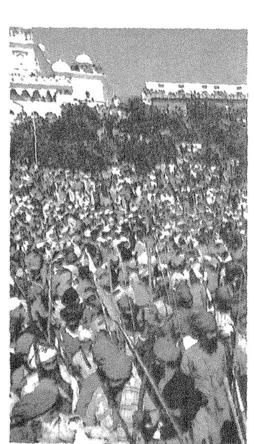


داعي ومبشر



طفل يصلي في معبد امريتسار ، عل المحبة تحكم العالم





نموذج الاحتفال بالاعياد

الفهرس

الفصل الثالث

الباكستان ـ كافيرستان

الفصل الرابع

فولتا العليا ـ بوبوديولاسو

* * *

انتهى الجزء الاول بعون الله تعالى ..

للمؤلّف

مثلث برمودا والاطباق الطائرة بين الحقيقة والاسطورة

اغرب القبائل والشعوب بالقرن العشرين ـ الجزء الاول

تحت الطبع :

اغرب القبائل والشعوب بالقرن العشرين ـ الجزء الثاني

للمراجعة والاستفسار :

دمشق : ص.ب ١٢٨١٨

دار الكتاب العربي

كتب أدبية - علمية - ثقافية - قصص أطفال

حلب - الجميلية - أمام مسرح نقابة الفنانين